حسان بن ثابت لم يكن جباناً

إبطال القصة المشتهرة بين الناس في جبن حسان
وشجاعة صفية رضي الله عنهما سنداً ومتناً

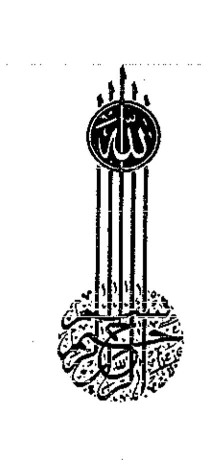
بقـلم

سليمان بن صالح الخراشي

حسان بن ثابت لم يكن جباناً

إبطال القصة المشهورة بين الناس في جبن حسان

وشجاعة صفية رضي الله عنهما سنداً ومتناً



حسان بن ثابت لم يكن جباناً

إبطال القصة المشتهرة بين الناس في جبن حسان
وشجاعة صفية رضي الله عنهما سنداً ومتناً

بقلم
سليمان بن صالح الخراشي

□ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ □

إنَّ الحَمْد لله نَحْمَدهُ وَنَستَعِينُه وَنستَغفِره، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أنْ لَا إِلَهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً، واتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ، إنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَولاً سَدِيْداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

* * *

مقدمة

الشعر .... والجُبن

صفتان ظاهرتان في شخصية حسان بن ثابت رضي الله عنه عند كثير من الناس امتاز بهما عن إخوانه الصحابة.

أما الشعر فلا يجاري فيه.

فهو شاعر قبل الإسلام في جاهليته يُعَبِّر عن حوادثها ويصف معارك قومه ويفتخر بها.

واستمر شاعراً بعد الإسلام ملازماً للرسول ﷺ والصحابة. يصف غزواتهم ويتغنى ببطولاتهم ويزدري الكفر وأهله. حتى عُدَّ شاعر الإسلام الأول والذاب عن عرض رسول الله ﷺ ضد أعدائه.

وأما الجبن فقد اشتهر به رضي الله عنه وغلب على طبعه. فلم يشارك – كما يقال في أيٍّ من غزواته ﷺ بل ظل يتابعها من بُعْد. ومن وراء الحصون والآطام.

انتشرت هذه الصفة بين الناس قديماً وحديثاً وتلقاها الخلف من السلف حتى رسخت في أذهان الناس.

فأصبح اسم حسان لا يذكر إلا وتبرز للمتذكر من صفاته صفتان:

الشعر... و... الجُبن.

أما الشعر فلا يحتاج إلى تدليل كما سبق.

وأما الجبن فاعتمد الواصفون له به على قصةٍ طريفةٍ يتيمة. فَرْدَةٌ في بابها. قد صِيْغَت أحسنَ صياغة. وحُبكت تفاصيلها لتعجب السامع والقارىء.

وأُطلِق قيدُها لتسري في بطون الكتب.

قصة تحكي شجاعة صفية بنت عبدالمطلب وجُبْنَ حسان رضي الله عنهما في موقف مشترك بينهما.

قالوا إن صفية رضي الله عنها قد قتلت أحد اليهود في غزوة الخندق بعد أن جَبُنْ حسان بن ثابت عن النزول إليه واحتمى ببقية النساء في الحصن.

والرسول ﷺ وصحابته مشغولون عن ذلك كله بمواجهة العدو.

وتنوقلت هذه القصة بين المؤلفين.

وأصبحت من المعالم البارزة في غزوة الخندق.

ونقلها المعاصرون عن القدماء وأودعوها في مؤلفاتهم حتى بلغ المدى في انتشارها أن تُضمَّ إلى المقررات الدراسية..!

فقد جاء في مقرر الصف الثاني المتوسط للبنات قصيدة بعنوان (أمهات الأشبال) للشيخ أحمد الغزاوي يحث فيها

البنات على الإقتداء بالصالحات من النساء[1].

جاء فيها هذه الأبيات:

وَهِمَ الشاعر الذي قال فخراً

وتمطى والحربُ مهوى شَباته

كُتِبَ القَتْلُ والقتال علينا

واجترار الذيول من غانياته

أين منه حنين وأم سليم

يوم أوطاس وهي من جمراته؟

أين منه صفية وهي تسطو

بيهودي فارع وخفاتـه؟[2]

فكان لزاماً على أحباب الصحابة أن يبحثوا عن أصل هذه القصة وينقبوا عن مصادرها.

ليتأكدوا من صحتها وصدق تفاصيلها.

وقد وفقني الله تعالى للقيام بذلك،

---

(١) ص ٨٩ من الطبعة الخامسة.

(٢) خفاته: ساكنيه.

فبدأت البحث عنها منذ أن طرقت سمعي لأول مرة واستنكرها قلبي للمزها لأحد الصحابة الأخيار بطريقة هازئة لا يقبلها أهل الإيمان وازدادت رغبتي في البحث عندما علمت أن بعض العلماء الكبار قد استنكرها وشك في ثبوتها[1].

فكانت هذة الرسالة، التي أرجو أن تنال رضى الله ثم رضى محبي الصحابة.

* * *

(١) هو أبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله.

القصة وانتشارها

○ **القصة وانتشارها:**

ـ للقصة روايات متعددة وقد اخترت واحدةً منها.

وهي رواية ابن إسحق أمام المغازي التي اعتمدها أغلب المصنفين لتكون معلماً للقارىء على أحداث هذه القصة التي هي محور هذه الرسالة.

ـ قال ابن إسحق (حدثني يحيى بن عبَّاد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبدالمطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان.

قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريضة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ.

والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ.

قالت فقلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَنْ وراءنا من يهود وقد شُغِل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه. فانزل إليه فاقتله.

قال يغفر الله لك يا ابنة عبدالمطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا.

قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجزتُ[1] ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته.

قالت فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل.

قال ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب][2].

○ **انتشارها وأقوال العلماء فيها:**

ــ أثناء تتبعي لهذه القصة وأقوال العلماء فيها وجدتها تُذكر في عدة أنواع من الكتب:

● **أولاً**: كتب السيرة النبوية– المغازي.

تذكر ضمن أحداث غزوة الخندق أو أُحد على الاختلاف في ذلك كما سيأتي.

● **ثانياً**: كتب التاريخ... تُذكر ضمن أحداث الغزوتين.

---

(١) احتجزت: شددت وسطي.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٢٨.

● **ثالثاً**: كتب التراجم... تُذكر في ترجمة حسان رضي الله عنه للتدليل على جُبنه أو في ترجمة صفية رضي الله عنها للتدليل على شجاعتها.

● **رابعاً**: كتب الأدب والشعر وتراجمها... تذكر عند الحديث عن الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه.

● **خامساً**: كتب المسانيد... تذكر في مناقب صفية أو ما أسنده ابنها الزبير رضي الله عنه.

وأذكر الآن أسماء المؤلفين الذين وقعت عليهم ممن اعتمدوا القصة وأثبتوها في مصنفاتهم وتعليقات مَنْ تكلم عليها منهم من السابقين واللاحقين.

ليعلم القارىء مدى انتشار هذه القصة.

وليستيقن أن حجتهم في إلصاق هذه التهمة بحسان رضي الله عنه هي هذه القصة اليتيمة.

وليعلم القارىء أنني لم التزم ترتيباً معيناً في ذلك لعدم الحاجة إليه كما أنني أذكر من تعرض- لجبن حسان رضي الله عنه ولو لم يذكر هذه القصة. ولم أقصد الاستيعاب في ذلك كلة بل أذكر أبرز من ذكرها ممن نالته يدي.

١- السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٨) التي هذَّب فيها

المغازي والسير لابن إسحق وأثبت منها ما أثبت وحذف ما حذف فكان كتابه هذا نافذة لنا على مغازي ابن إسحق التي فقد أجزاء كثيرة منها.

وقد ذكر رحمه الله في مقدمة سيرته أنه سيحذف منها كما يقول [أشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره](١).

ولكنه رحمه الله أبقى على هذه القصة المستشنعة التي يسؤ المؤمنين ذكرها..!.

ولم يعقب عليها بشيء.

٢- المغازي للواقدي: ذكرها في موضعين:

أ - عند ذكر غزوة أحد (٢٨٨/١) قال: [وكانت صفية بنت عبدالمطلب تقول رُفِعْنا في الآطام ومعنا حسان بن ثابت ونحن في فارع فجاء نفر من اليهود يرمون الآطام...] وذكر القصة بنحوها.

ب- وذكرها ضمن أحداث غزوة الخندق (٤٦٢/٢) [حدثني شيخ من قريش- قال ابن أبي الزناد وابن جعفر

(١) سيرة ابن هشام (٤/١).

هذا أثبت من الذي في أُحُد- قال كان حسان بن ثابت رجلاً جباناً فكان قد رُفِع مع النساء في الآطام فكانت صفية في أطم فارع ومعها جماعة وحسان معهم فأقبل عشرة من اليهود...] وذكر القصة بنحوها.

٣- الطبقات لابن سعد (٤١/٨):

ـ ذكرها في ترجمة صفية رضي الله عنها فقال: [أخبرنا حماد بن أسامة حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا خرج لقتال عدوه من المدينة رفع أزواجه ونساءه في أطم حسان بن ثابت لأنه كان من أحصن آطام المدينة.

وتخلف حسان يوم أحد.

فجاء يهودي فلصق بالأطم يستمع ويَتَغَبَّر.

فقالت صفية بنت عبدالمطلب لحسان: انزل إلى هذا اليهودي فاقتله...] وذكر القصة بنحوها.

٤- جوامع السيرة لابن حزم (١٨٩):

ـ قال في غزوة الخندق [وكانت صفية عمة الرسول ﷺ في فارع أطم حسان بن ثابت وكان حسان بن ثابت فيه مع النساء والصبيان] ولم يزد على ذلك.

٥- دلائل النبوة للبيهقي (٤٤٢/٣):

ـــ ذكرها من طريق ابن إسحق. القصة المشهورة ولم يُعَقِّب

٦- تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٥٤ هـ):

ـــ قال في ترجمة حسان [وكان في حسان جُبن] ولم يذكر القصة.

٧- سير أعلام النبلاء للذهبي: ذكرها في موضعين:

أ - في ترجمة صفية (٢/٢٧٠) قال: [وقد كانت يوم الخندق في حصن حسان بن ثابت قالت: وكان حسان معنا في الذريَّة...] وذكر القصة.

ب- في ترجمة حسان (٢/٥٢١) ذكر القصة من طريق جعفر بن الزبير عن أبيه ومن طريق ابن إسحق ولم يعقب بشيء جازم[1].

٨- السيرة النبوية لابن كثير (٣/٢٠٨):

ـــ ذكرها من طريق ابن إسحق القصة المشهورة.

وقال المحقق في الفهرس [صفية بنت عبدالمطلب أشجع من حسان بن ثابت..!] برغم ذكره تضعيف السهيلي للخبر

---

(١) سيأتي بعض تعليقات الذهبي على القصة توحي بأنه رحمه الله متردد في إثباتها. وإن كنت أعتقد أنه إلى إثباتها أقرب.

في الحاشية..!

٩- البداية والنهاية لابن كثير ذكرها في موضعين:

أ - في أحداث غزوة الخندق (٤/١١٠) ذكر القصة من طريق ابن إسحق المشهورة.

ب- وفي ترجمة صفية (٧/١٠٧) قال: [وقتلت يوم الخندق رجلاً من اليهود جاء فجعل يطوف بالحصن...] وذكر القصة مختصرة.

١٠- تاريخ الطبري لابن جرير الطبري (٢/٩٦):

ـــ ذكرها ضمن أحداث غزوة الخندق بسنده إلى ابن إسحق القصة المشهورة.

١١- الإصابة. لابن حجر العسقلاني:

ـــ ذكرها في موضعين:

أ - في ترجمة حسان (٢/٢٣٧) قال بعد أن ذكر محاسنه رضي الله عنه [وكان مع ذلك جباناً]. معتمداً على رواية ابن إسحق المشهورة.

ب- وفي ترجمة صفية (١٣/١٨) ذكر القصة من عدة طرق سيأتي بيانها عند ذكر أسانيد القصة.

١٢- الدرر لابن عبدالبر (١٨٦):

ـ قال في غزوة الخندق [ولحسان بن ثابت مع صفية بنت عبدالمطلب خبر طريف يومئذٍ وكان حسان قد تخلف عن الخروج مع الخوالف بالمدينة.

ذكره ابن إسحق وطائفة من أهلِ السير.

وقد أنكره منهم آخرون فقالوا لو كان في حسان من الجبن ما وصفتم لهجاه بذلك مَن كان يهاجيهم في الجاهلية والإسلام ولهُجِيَ بذلك ابنه عبدالرحمن فإنه كثيراً ما يُهَاجِي الناس من شعراء العرب].

١٣- الاستيعاب لابن عبدالبر (٢٦/٣):

ـ قال في ترجمة حسان [وقال أكثر أهل الأخبار والسير أن حسان كان من أجبن الناس وذكروا من جبنه أشياء مستشنعة أوردوها عن الزبير أنه حكاها عنه كرهت ذكَرَها لنكارتها.

ومَنْ ذكرها قال: إن حساناً لم يشهد مع رسول الله ﷺ شيئاً من مشاهده لجبنه.

وأنكر بعض أهل العلم بالخبر ذلك وقالوا لو كان حقاً لهجى به.

وقيل إنما أصابه ذلك الجبن منذ ضاربه صفوان بن

المعطل بالسيف].

١٤- تهذيب الكمال للمزي (٣/٦):

ـ ذكر القصة من طريق الزبير بن بكار في ترجمة حسان. ونقل قول ابن الكبي بأن حساناً كان شجاعاً ثم أصابته علة فأحدثت فيه الجبن.

وقول ابن سعد بأنه كأنه يجبُنْ. وأما ابن حجر في (تهذيب التهذيب) (٢٤٧/٢) فاكتفى بقول ابن سعد.

١٥- الكامل لابن الأثير (١٢٥/٢):

ـ قال في غزوة الخندق [وكانت صفية عمة النبي ﷺ في فارع حصن حسان بن ثابت وكان حسان فيه مع النساء لأنه كان جباناً...] وذكر القصة.

وقال المحقق في الفهرس [جبن حسان بن ثابت الشاعر المشهور].

وتأمل (الشاعر المشهور)..!

١٦- تارخ اليعقوبي (٤٨/٢):

ـ ذكرها في غزوة أحد لا الخندق فقال: [وجاء يهودي حتى وقف على باب الأطم الذي فيه النساء وكان حسان ابن ثابت معهن فصاح اليهودي اليوم بطل السحر.

ثم ارتقى يصعد.

فقالت صفية بنت عبدالمطلب: يا حسان انزل إليه.

فقال: رحمك الله يا بنت عبدالمطلب لو كنت ممن ينازل الأبطال خرجتُ مع رسول الله ﷺ أقاتل.

فأخذت صفية السيف وقيل أخذت هراوة فضربت اليهودي حتى قتلته ثم قالت: انزل فاسلبه.

فقال: لا حاجة لي في سلبه.

وروي أن النبي ﷺ ضرب لصفية يومئذ بسهم].

● **قلت**: وهذه رواية غريبة. ولهذا ذكرتها كاملة فلعل اليعقوبي تصرّف فيها.

١٧- التبيين في أنساب القرشيين لابن قدامة (١٤٠):

ـ قال في ترجمة صفية [يُروى أنها كانت يوم الأحزاب في أطم من النساء والذرية وفيه حسان بن ثابت...] وذكر القصة بنحوها.

١٨- تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي (٦٨):

ـ قال في ترجمة حسان [كان قديم الإسلام ولم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً وكان يجبُن].

١٩- الروض الأنف للسهيلي شارح سيرة ابن هشام (٦/٣٢٤):

ـ قال معلقاً على القصة: [ومحمَل هذا الحديث عند الناس على أن حساناً كان جباناً شديد الجبن. وقد دفع هذا بعض العلماء وأنكره وذلك أنه حديث منقطع الإسناد.

وقال: لو صح هذا لهجى به حسان فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبعري وغيرهما، وكانوا يناقضونه ويردون عليه فما عيَّره أحدٌ منهم بجبن ولا وسمة به فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحق.

وإن صح فلعل حساناً أن يكون معتلاً في ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال وهذا أولى ما تأول عليه. وممن أنكر أن يكون هذا صحيحاً أبو عمر رحمه الله في كتاب الدرر له].

٢٠- سمط النجوم العوالي لعبدالملك بن حسين العصامي المكي (٣٦٠):

ـ قال في ذكر عماته ﷺ: [وأما صفية ابنة عبدالمطلب فأمها هالة بنت وهب بن عبدمناف، وشهدت الخندق وقتلت رجلاً من اليهود وضرب لها عليه الصلاة والسلام

بسهم وروت عنه حديثاً رواه عنها الزبير...] ثم ذكر القصة ثم عقب عليها بذكر تعليق السهيلي الذي ذكره في (الروض الأنف).

ثم قال: [ورأيتُ في كتب السير أن حساناً أصابته علة أحدثت فيه الجبن ولم يكن أول أمره جباناً وإلا لعُيِّر به كما قاله السهيلي.

وقد سألت بعض حُذَّاق الأطباء عن هذا فقال: نعم ذلك مذكور عندنا والله أعلم].

٢١- نكت الهميان في نكت العميان لصلاح الدين الصفدي (١٣٤):

ـ قال في ترجمة حسان بعد أن ذكر القصة من طريق ابن إسحق: [قلت: وقد رأيت بعضهم ينكر جبنه واعتذر له بأنه كان يهاجي قريشاً ويذكر مثالبهم ومساويَهم ولم يبلغنا أن أحداً عيّره بالجبن والفرار من الحروب].

ثم نقل عن ابن الكلبي قوله المشهور [أن حسان كان لسناً شجاعاً فأصابته علة أحدثت له الجبن فكان بعد ذلك لا يقدر أن ينظر إلى قتال ولا يشهده].

٢٢- أسد الغابة لابن الأثير:

ـ ذكرها في موضعين:

أ - في ترجمة حسان (٤٨٢/١) قال: [وكان حسان من أجبن الناس حتى أن النبي ﷺ جعله مع النساء في الآطام يوم الخندق] ثم ذكر القصة من طريق ابن إسحق.

وأتبعها بقوله: [ولم يشهد مع النبي ﷺ شيئاً من مشاهده لجبنه].

ب- في ترجمة صفية (١٧٣/٦) ذكر القصة من طريق ابن إسحق ومن طريق عروة بن الزبير.

٢٣- شرح المواهب اللدنية للزرقاني (١١١/٢):

ـ ذكر القصة من طريق ابن الزبير وابن إسحق وعقّب على ذلك بذكر تعليق السهيلي في (الروض الأنف).

ثم قال: [ابن إسحق لم ينفرد به بل جاء بسند حسن متصل- كما علم- فاعتضد حديثه وقد قال ابن السراج: سكوت الشعراء عن تعييره بذلك من أعلام النبوّة لأنه شاعره ﷺ].

٢٤- الإكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء... للكلاعي (١٧١/٢):

ـ قال في غزوة الخندق [وكانت صفية بنت عبدالمطلب في فارع أطم حسان بن ثابت...] وذكر القصة المشهورة.

٢٥- عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي (١/٢٠٢):

ـ قال في غزوة الخندق: [وكانت صفية عمة النبي ﷺ في فارع حصن حسان بن ثابت وكان حسان فيه مع النساء لأنه كان جباناً...] وذكر القصة.

وقال المحقق حسام الدين المقدسي: [هذا حديث منقطع الإسناد ذكره ابن إسحق وطائفة من أهل السير وأنكره آخرون...].

٢٦- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص... للعباسي (١/٢١٣):

ـ قال في ترجمة حسان: [وكان حسان رضي الله عنه جباناً حدّث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: كانت صفية بنت عبدالمطلب في فارع حصن حسان بن ثابت يوم الخندق...] وذكر القصة بنحوها.

٢٧- در السحابة للشوكاني (٥٣٧):

ـ قال في مناقب صفية: [أخرج الزبير بن بكار وابن إسحق وابن عساكر عن الزبير بن العوام عنها قالت:...] وذكر

القصة، وذكرها من طريق ابن عساكر أيضاً.

٢٨- السيرة الحلبية... ابن برهان الدين الحلبي (٢/٣٣٨):

ـ قال بعد ذكر القصة من طريق ابن الزبير: [وهذا يدل على ما قيل أن حسان بن ثابت كان من أجبن الناس].

٢٩- السيرة النبوية للصالحي (٤/٥٦٤):

ـ ذكر القصة من طريق ابن إسحق وغيره ثم ذكر تضعيف ابن عبدالبر لها.

ثم قال: [ولعل حسان- كما في الروض- أن يكون معتلاً في ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال].

ثم ذكر مقولة ابن الكلبي المشهورة، وختم المبحث بقول ابن السراج أن سكوت الشعراء عنه من علامات النبوّة.

٣٠- الرحيق المختوم للمباركفوري (٣٥٣):

ـ ذكر القصة من طريق ابن إسحق عند حديثه عن عمليات يهود بني قريضة في غزوة الخندق.

٣١- رفع الخفاء شرح ذات الشفاء للكردي (٢/٢٢):

ـ قال متحدثاً عن عماته ﷺ عند ذكر صفية [وشهدت الخندق وقتلت يهودياً وضرب لها ﷺ بسهم] ولم يعلق الأخ حمدي السلفي محقق الكتاب بشيء.

٣٢- الرياض المستطابة... للعامري اليمني (٥١):

ـــ قال في ترجمة حسان: [وقال ابن سعد لم يشهد حسان مع النبي ﷺ مشهداً كان يجبن. وقال ابن الكلبي: كان لسناً شجاعاً أصابته علة فجبن].

٣٣- التحفة اللطيفة للسخاوي (٤٦٤/١):

ـــ قال في ترجمة حسان [ولم يكن شجاعاً بل لم يشهد مع النبي ﷺ ولا غزوة من الغزوات لجبنه وكان هو رضي الله عنه يعترف به كما في قصته مع صفية بنت عبدالمطلب واليهودي الذي كان يطيف بالحصن الذي هُنَّ فيه].

٣٤- وفاء الوفاء... للسمهودي (٣٠٢/١):

ـــ أخرجها من رواية البزار. وقال بعده: [وروى أحمد بإسناد قوي عن عبدالله بن الزبير قال كانت صفية في حصن حسان بن ثابت يوم الخندق أي وهو المسمى بفارع فذكر الحديث في قتلها اليهودي...].

● **قلت**: وهم رحمه الله فأحمد لم يخرج القِصَّة وإنما أخرج ما ثبت في الصحيحين من طريق ابن الزبير أنه كان وعمر ابن أبي سلمة مع النساء في حصن حسان يوم الخندق.

دون تعرض للقصة كما سيأتي تفصيله.

ولعله اعتمد في هذا الوهم على الحافظ ابن حجر رحمه الله حيث ذكر في الفتح (٦/٢٨٥) أن أحمد رواها بسند قوي برغم تقصيه لرواياتها في الإصابة كما سبق. فالله أعلم.

٣٥- التاريخ الكبير للبخاري (٣/٢٩):

- قال في ترجمته: [وقال عازم حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن عروة كان حسان في الأطم يوم الخندق فقالت صفية يا أبا الوليد] وبهذه العبارة انتهت ترجمته رضي الله عنه.

فلعل في الأصل تصحيف في السند ونقص في المتن كما يظهر للمتأمل.

ولكن القارىء يعلم مما سبق أن البخاري أراد ذكر القصة المشهورة.

٣٦- تفسير الخازن (٤/١٩٨):

- ذكرها عند تفسير سورة الأحزاب من طريق ابن إسحق.

٣٧- تفسير البغوي بحاشية تفسير الخازن (٤/١٩٨):

- ذكرها عند تفسير سورة الأحزاب من طريق ابن إسحق.

٣٨- صفوة السيرة المحمدية للباقوري (٢٧٩):

ـ ذكرها في غزوة الخندق بصيغة التمريض (ويروى).

٣٩- فقه السيرة... للغزالي (٣٠٥):

ـ قال في غزوة الخندق: [وماذا صنعت قريضة؟ إن يهودياً خرج يطيف بحصن للمسلمين فنزلت إليه صفية بنت عبدالمطلب فقتلته. ولا غرو فهي أخت حمزة!] ولم يعلّق الشيخ الألباني بشيء لأن الغزالي لم يذكر القصة بسندها أو معزوة لأحد. بل ذكرها مقتضبه.

٤٠- سيرة النبي العربي... لأحمد التاجي (٦٠٧):

ـ ذكرها في غزوة الخندق بلا إسناد.

٤١- السيرة العطرة... للمستشار عبدالعزيز خيرالدين (٤٣٥):

ـ ذكرها في غزوة الخندق بلا إسناد.

٤٢- خاتم النبيين... لمحمد أبو زهرة (٢/٣١١):

ـ ذكر القصة بنحوها في غزوة الخندق ثم عقَّب بقوله: [وقد ذكرنا هذه القصة لا لنثبت شجاعة أخت حمزة أسد الله ولا لحال حسان رضي الله عنه. ولكن ذكرناها لنعلم منها كيف كان اليهود حريصين على أن يأتوا دُورَ النبي

والصحابة في غيبتهم].

٤٣- غزوة الأحزاب... لمحمد باشميل (٢٣٥):

ـــ ذكرها تحت عنوان [محاولة اليهود الهجوم على نساء النبي] من طريق البزار.

٤٤- خلاصة الأثر... لأحمد عساف (٢٠٢):

ـــ ذكر القصة في غزوة الخندق بلا إسناد.

٤٥- العبقرية العسكرية في غزوات الرسول... لمحمد فرج (٤٥٤):

ـــ ذكرها في غزوة الخندق بلا إسناد.

٤٦- حياة محمد... لمحمد حسين هيكل (٣٣٧):

ـــ ذكرها في غزوة الخندق بلا إسناد.

٤٧- أعلام النساء... لعمر رضا كحاله (٢/٣٤٢):

ـــ قال في ترجمة صفية: [شهدت غزوة الخندق...] وذكر القصة.

٤٨- أيام العرب في الإسلام... لمحمد إبراهيم وعلي البجاوي (٦٢):

ـــ ذكراها في غزوة الخندق بلا إسناد.

٤٩- أزمنة التاريخ الإسلامي... لعبدالسلام الترمانيني:

ـــ قال في ترجمة حسان (١/٢/٥٧٨): [لم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً لعله أصابته وقيل لجبنه].

ـــ وقال في ترجمة صفية (١/٢/٩٨٨): [قتلت بعمود يهودياً كان يتجسس على أزواج النبي ﷺ يوم أحد].

٥٠- حياة الصحابة... للكاندهلوي:

ـــ أخرج القصة في مبحث (قتال النساء في الجهاد في سبيل الله) (٢/٦٢) من طريق ابن إسحق. وذكر أن ابن مندة وابن أبي خيثمة والطبراني والبزار وأبا يعلي قد أخرجوها أيضاً. وستأتي أسانيدهم عند الحديث عن أسانيد القصة. إن شاء الله.

٥١- ندوات الأسر... لمحمد عمر داعوق (١٢٢):

ـــ ذكرها في غزوة الخندق على طريقة الحوار بين أعضاء الأسره لم يخلُ من طرافةٍ واستهزاءٍ بحسان رضي الله عنه. ولنستمع:

[زينب: أمَّا أنا فسأقص عليكم القصة لأني أحفظها. كانت صفية بنت عبدالمطلب... (وذكرت القصة المشهورة).

مريم (تضحك مع باقي الأسرة وتقول): سبحان الله بقدر ما هو قوي بلسانه بقدر ما هو ضعيف بجنانه. ولله

في خلقه شوؤن].

٥٢- خاتم النبيين... لسميح الزين (٢/٤١١):

ـ ذكرها في غزوة الخندق بعد أن تصرّف فيها لتظهر بهذه الصورة.

فقال عن صفية: [أقامت في حصن مع حسان بن ثابت ترعى النساء والذراري وتخدم الشيوخ والعجزة من غير أن تتوانى عن المراقبة ورصد تحركات بني قريضة.

فبينما هي مرة وراء النافذة تحاذر غدر بني قريضة. إذا بها ترى رجلاً منهم يطوف حول الحصن في محاولة تعدٍ على النسوة فتنادي على حسان بن ثابت أن ينزل إليه ويقتله حتى يخلُصُوا من شره.

وهي تقول له: عجل يا حسان وأنزل إليه فليس بيننا رجال ذوو قوة غيرك[1] فرسول الله ﷺ والمؤمنون في نحور عدوهم ولا يستطيعون أن يصرفوا عنا إن حاق بنا غدر. وإني والله ما آمن أن يدل هذا اليهودي على عورتنا لمن

---

(١) كيف تصفه بالقوة وهي تعلم جُبْنه؟ وإن قيل: لم تعلم إلا في هذا الوقت. قيل: فلماذا وضِع رضي الله عنه مع النساء والصبيان إذن...؟.

وراءنا من قومه.

فهيًّا إليه وعاجله بضربة تذهب به إلى الجحيم.

ولم يكن حسان بن ثابت محارباً بل هو شاعر يكره كل ما هو قتال أو حرب ليس في طبعه حمل سلاح أو اهراق دم ولذا فقد آثر البقاء في الحصن ولم يخرج للمشاركة في المعارك.

ويحاول حسان أن يستمد من قول السيدة صفية قوة تعينه على النزول وقتل الرجل إلا أنه فشل في ذلك فيعتذر إليها قائلاً: يغفر الله لك يا ابنة عبدالمطلب فوالله لقد عرفوا ما أنا بصاحب هذا.

فانفلتت بنت عبدالمطلب من وراء النافذة تشد على وسطها ثم تأخذ بيديها عموداً ضخماً وتسرع في النزول من الحصن ترقُب اليهودي في طوافه حتى إذا قاربته اندفعت إليه بعمودها تهوي به على رأسه فتفلُقُه وتَذَرُه يتخَبَّط بدمائه مقتولاً.

ثم تسارع السيدة صفية في العودة إلى الحصن وتأتي حسان بن ثابت قائلة له: أنزل إليه يا حسان واسلبه فوالله لم يمنعني من ذلك إلا أنه رجل. فيقول حسان بلهجة

هادئة: ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبدالمطلب، فتركته السيدة صفية وشأنه وهي لا تلومه في شيء، لأنها تعرف طباعه وخصاله].

وتأمل قوله: [لأنها تعرف طباعه وخصاله]..!

٥٣- جهاد النبي... لمحمد زيتون (١٥٨/٢):

ـ ذكرها في غزوة الخندق بطريقة الحوار الذي لا يخلو من طرافة وسخرية [ابن الزبير- يشير إلى رجل قادم من بعيد- هذا والله يهودي يطوف بالخندق.

صفية: يا حسان... لا آمن هذا اليهودي أن يدلهم على عورة الحصن فيأتون إلينا فأنزل فاقتله.

حسان: يا بنت عبدالمطلب قد عرفت ما أنا بصاحب هذا.

صفية: والله لأذهبنَّ بنفسي. (تنزل وبيدها عمود وتقتل اليهودي ثم تصعد).

يا حسان: أنزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل.

حسان: يا ابنة عبدالمطلب ما لي بسلبه حاجة.

صفية: يا لك من جبان!].

٥٤- نور الله (قصة)... نجيب الكيلاني:

ـــ ذكرها ضمن أحداث غزوة الخندق (٣١٥/١) بإسلوب قصصي تصرف فيه، نقتطع منه قوله على لسان إحدى النساء في الحصن: [أوه.. إن حسان رجل حرب وطعان.. إنه يعرف الكثير من مداخل الشعر ومخارجه ولكنه لا يستطيع إن يسحق خطراً داهماً كهذا].

٥٥- زاد المعاد.. ابن القيم:

قال رحمه الله عن صفية: [شهدت الخندق وقتلت رجلاً من اليهود كان يطيف بالحصن الذي هي فيه] (٤٤١/٥).

٥٦- لزوم ما لا يلزم... للمعري:

قال (٩٠٣/٢):

وما نفس حسان الذي شاع جبنه

بأسلم من نفس الكمي المخالس

قلت وكأنه (أي المعري) لم يجزم بهذه القصة وتراجع عن وصف حسان رضي الله عنه بهذه الصفه في كتابه (رسالة الغفران) حيث قال (١٣٢): [ويقول قائل من القوم: كيف جبنك يا أبا عبدالرحمن؟ فيقول: ألي يقال هذا وقومي من أشجع العرب؟.... وإن ظهر مني تحرز في بعض المواطن فإنما ذلك على طريقة الحزم كما جاء في الكتاب الكريم ﴿**ومن يولهم يومئذٍ دبره..**﴾ الآية].

أسانيد

القصّة

و

الكلام عليها

وبعد هذا العرض- أخي القارىء- لكثير من الكتب السابقة واللاحقة التي ذكرت هذه القصة بأساليب مختلفة.

وبذكر تعليقات بعض العلماء عليها يتبين لنا أن الدليل على جبن حسان بن ثابت لدى الجميع هو هذه القصة الوحيدة الطريفة.

التي رويت بأسانيد يسيرة سيأتي بيان ما فيها.

- وهذا مما يدعونا للعجب.

كيف انتشرت القصة برغم قلة أسانيدها ولمزها لأحد الصحابة الأخيار؟

الجواب في نظري- والله أعلم- أن الأسباب الآتية كفيلة بمنحها ذلك الانتشار والتمكين.

١- أعتماد أمام المغازي والسير (محمد بن إسحق) لها وروايتها بسنده. وكثير ممن ذكرتهم سابقاً عالةٌ عليه. يتكئون على سنده وروايته.

٢- قلة من ضَعَّف القصة من العلماء وعدم تعرض الأئمة الكبار لها بنقد أو تحقيق كالذهبي وابن حجر وابن كثير وابن الجوزي وغيرهم مما جعل مَن خلفهم يستأنس بذلك.

وممّن تصدى لهذه القصة وأنكرها من الأئمة أبو عمر ابن عبدالبر في كتابيه (الدرر) و (الاستيعاب) كما سبق وتابعه السهيلي على ذلك دون مَن عداهم. وهذا مما يشهد لأبي عمر بجودة التحقيق سنداً ومتناً فيما يمر عليه.

٣- طرافة موضوعها. فالشيء الطريف يعلَق بذهن المرء ويُحِبُّ أن يُبَلِّغه لغيره ليستمتع به.

وهذا ما كان عند ترديد هذه القصة.

ويؤكد ذلك ما سبق أن نقلته من تعليقات بعضهم على القصة في فهرس كتبهم.

فهو دليل على تميز هذه القصة عندهم دون سواها ومحبة تنبيه القارىء لها.

٤- وهو أهمها في نظري. تضمُّن القصة مدحاً لشجاعة صفية بنت عبدالمطلب وهي عمة الرسول الله ﷺ وأخت سيد الشهداء حمزة ومن آل بيت النبوة.

فمن ذكرها جعل نُصْب عينيه هذا الموقف الشجاع لها ولم يلتفت إلى ما حوته القصة من طعن لحسان رضي الله عنه فهو إنما ذكر عرضاً..!.

فليحتمل رضي الله عنه ما أصابه من المؤلفين إكراماً لأخت حمزة رضي الله عنهما..!

○ أسانيد القصة والكلام عليها

ـ لهذه القصة حسب تتبّعي أسانيد خمسة لعدم ذكر الأئمة الكبار من المحدِّثين لها في كتبهم كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم فلم يبق إلا أصحاب المسانيد والسير الذين يذكرون الغث والسمين في فضائل الصحابة وحوادثهم.

وإليك- أخي القارىء- هذه الأسانيد متتالية مع بيان ما فيها من ضعف معتمداً في ذلك التضعيف على أقوال أهل الحديث وقواعدهم.

١- الإسناد الأول:

ـ وهو الإسناد المشهور الذي روى به ابن إسحق القصة في سيرته حيث قال: [حدثني يحيى بن عبَّاد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد قال: كانت صفية...] إلى آخر القصة التي نقلتها من قبل.

أ - أخرجه ابن إسحق في المغازي (سيرة ابن هشام ٢٢٨/٢) وعنه الطبري في تاريخه (٩٦/٢) والبيهقي في الدلائل (٤٤٢/٣) وغيرهم.

ب- رجال الإسناد:

١- محمد بن إسحق، صاحب المغازي والمرجع فيها.

قال عنه الذهبي: [أحد الأئمة الأعلام... وثقه غير واحد ووهاه آخرون كالدارقطني وهو صالح الحديث وقال أحمد بن حنبل: هو حسن الحديث وقال ابن معين: ثقة وليس بحجة وقال علي بن المديني: حديثه عندي صحيح.

وقال أحمد: هو كثير التدليس جداً.

قال الذهبي: [ما له عندي ذنب إلا ما قد حشا في السيرة من الأشياء المنكرة المنقطعة والأشعار المكذوبة].

● قلت: ولعل هذه القصة مما استنكره الذهبي عليه.

ثم لخص رحمه الله القول فيه بقوله: [فالذي يظهر لي أن ابن إسحق حسن الحديث صالح الحال صدوق وما انفرد به ففيه نكارة فإن في حفظه شيئاً وقد احتج به أئمة].

ـــ وذكر الحافظ ابن حجر في كتابه: [تهذيب التهذيب] توثيق العلماء له وتضعيف آخرين منهم ولخص ذلك في كتابه (تقريب التهذيب) بقوله: [إمام المغازي صدوق يدلس ويُرمي بالتشيع والقدر].

● قلت: وهذا الذي اعتمده العلماء في ابن إسحق بأنه

حسن الحديث إذا صرح بالتحديث لأنه مشهور بالتدليس.

وقد صرح في روايته لهذه القصة بالسماع من يحيى بن عبّاد الذي ذكره الحافظ في مَن روى عنهم ابن إسحق.

انظر: طبقات ابن سعد (٣٢١/٧)- التاريخ الكبير (٤٠/١)- الجرح والتعديل (١٩١/٧)- تاريخ بغداد (٢١٤/١)- وفيات الأعيان (٢٧٦/٤)- تهذيب التهذيب (٣٨/٩)- سير أعلام النبلاء (٣٣/٧)- ميزان الاعتدال (٤٦٨/٣)- تقريب التهذيب (٤٦٧)- طبقات الحفاظ (٨٢).

٢- يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير:

ـــ قال ابن سعد في الطبقات: [يروي عنه ابنُ إسحق. كان ثقةً كثيرَ الحديث] وقال ابن حجر: [قال النسائيّ والدارقطني ثقة وذكره ابن حبان في الثقات].

● قلت: وثقه ابنُ معين.

انظر: تتمة طبقات ابن سعد (٢٣٣). طبقات خليفة (٢٥٩). الجرح والتعديل (١٧٣/٢/٤). ميزان الاعتدال (٣٨٨/٤). التاريخ الكبير للبخاري (٢٩١/٨) الثقات لابن حبان (٥٩٢/٧). تاريخ الدارمي (٢٩٩). نسب قريش للمصعب (٢٤٢) تهذيب التهذيب (٢٣٤/١١). تقريب التهذيب (٥٩٢). الجمهرة للزبير بن بكار (٧١).

٣- عباد بن عبدالله بن الزبير:

ـــ ذكره ابن حبان في الثقات وقال: [يروي عن أبيه

وعائشة. روى عنه هشام بن عروة وابنه يحيى بن عباد]
وقال الزبير بن بكار: [كان عظيم القدر عند عبدالله بن الزبير وكان على قضائه بمكة وكان الناس يظنون إنْ حَدَث بعبدالله ابن الزبير حَدَث أنه يعهد إليه بالأمره. وكان يستخلفه إذا خرج إلى الحج. وكان أصدق الناس لهجة].

وقال ابن سعد في الطبقات [كان ثقةً كثيرَ الحديث] ووثقه النسائيُّ. وقال العجلي [مدني تابعي ثقة] وقال الحافظ: [ثقة من الثالثة].

انظر: الثقات لابن حبان (٥/١٤٠). الجمهرة للزبير بن بكار (٧٠). التبيين في أنساب القرشيين (٢٢٧). الثقات للعجلي (١٧/٢). نسب قريش للمصعب (٢٤٢) تتمة طبقات ابن سعد (١٠٦) طبقات خليفة (٢٥٦). تهذيب التهذيب (٩٨/٥) الكاشف للذهبي (٥٥/٢). تقريب التهذيب (٢٩٠).

جـ- الحكم على الإسناد: مرسل رجاله ثقات.

لأن عباد بن عبدالله بن الزبير تابعي من الطبقة الوسطى.

والمرسل كما يُعْلم من أنواع الحديث الضعيف عند الجمهور- كما سيأتي- لجهالة الواسطة.

ويزداد التأكيد على عدم قبوله إذا كان متنه يحتوي على ما يُستَنْكر. كمثل ما نحن فيه.

٢- الإسناد الثاني:

ـــ ترويه أم عروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها جعفر بن الزبير، عن جدها الزبير عن أمه صفية بنت عبدالمطلب [أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى الخندق جعل نساءه في أطم يقال له فارع وجعل معهن حسان بن ثابت فجاء اليهود إلى الأطم يلتمسون غِرّة نساء النبي ﷺ فترق اثنان من الأطم علينا.

فقلت له يا حسان قم إليه فاقتله.

فقال والله ما كان ذلك فيَّ ولو كان ذلك فيَّ لكنت مع النبي ﷺ.

فقلت له اربط هذا السيف على ذراعي فربطه فقمت إليه فضربت رأسه حتى قطعته.

فقلت له خذ بأذنيه فارم به عليهم.

فقال والله ما ذلك فيَّ.

فأخذت برأسه فرميت به عليهم فتضعضعوا وهم يقولون قد علمنا أن محمداً لم يكن يترك أهله خلوفاً ليس معهن أحد.

قالت وكان رسول الله ﷺ إذا اشتد على المشركين شدَّ

حسان مع رسول الله ﷺ وهو معنا في الحصن فإذا رجع رجع وراءه كما يرجع رسول الله ﷺ وهو ثمَّ.

فمر بنا سعد بن معاذ وقد أخذ صُفرة وهو بعرس قبل ذلك بأيام وهو يرتجز:

مهلاً قليلاً يدرك الهيجا جمل

لا بأس بالموت إذا حَلَّ الأجل

قالت عائشة: فما رأيت رجلاً أجمل منه في ذلك اليوم].

أ - أخرجه: الحاكم في مستدركه (٤/٥٠) واللفظ له من طريق إسحق الفروي عن أم عروة.

ومثله البزار في مسنده (٣/١٩١) وجعله من مسند الزبير رضي الله عنه ولم يذكر فيه صفيه. وجعل الغزوه (أحداً) بدلاً من (الخندق).

ـ وأخرجه أيضاً من هذا الطريق الطبراني في الكبير (٢٤/٣٢١) ولكنه جعله عن جعفر بن الزبير عن جدته صفية ولم يذكر فيه الزبير. وكذلك جعل الغزوة (أحداً) بدلاً من الخندق كما في البزار.

ـ وأخرجه من هذا الطريق أيضاً ابن أبي خيثمة وابن مندة كما عند الحافظ في الإصابة (١٣/١٩).

ـ وأخرجه أبو يعلى في مسنده مختصراً من طريق محمد بن الحسن بن زبالة عن أم عروة عن أبيها عن جدها الزبير (٤٠٣/٢).

ب- رجال الإسناد:

١- إسحق الفروي.

ـ قال أبو حاتم: [كان صدوقاً ولكن ذهب بصره فربما لقن وكتبه صحيحة] وقال الآجري: سألت أبا داود عنه فوهاه جداً. وقال النسائيُ: متروك. وقال الدارقطني: ضعيف. ونقل ابنُ الجوزي قول النسائيِّ فيه [ليس بثقة] وضعفه الدارقطني.

وذكره العقيلي في الضعفاء.

قال أبو الوليد الباجي: [يحتمل عندي أنه يتهم لكثرة خطئه بقلة التحري].

وذكره ابن حبان في الثقات.

قال الحافظ: [المعتمد فيه ما قاله أبو حاتم] ولذلك قال في التقريب: [صدوق كف فساء حفظه].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فيه [كانوا ينكرون عليه روايته للحديث على خلاف ما يرويه الناس].

ـ انظر: التاريخ الكبير (٤٠١/١/١)- الجرح والتعديل (٢٣٣/١/١)- الثقات (١١٤/٨)- التعديل والتجريح للباجي (٣٧٧/١)- هدي الساري (٤٠٩)- تهذيب التهذيب (٢٤٨/١)- التقريب (١٠٢)- الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١٠٣/١)- الضعفاء الكبير للعقيلي (١٠٦/١)- الرد على الأخنائي لابن تيمية (١٧٠).

ـ وأما متابعه عند أبي يعلى (ابن زبالة) فهو متروك.

انظر (تهذيب التهذيب ١٥/٩)- (ميزان الاعتدال ٥١٤/٣)- (الضعفاء الكبير ٥٨/٤)- (الضعفاء للنسائي ٥٣٥)- الضعفاء للدارقطني ٥٧٣)- (الضعفاء الصغير للبخاري ٣١٤)- (الضعفاء لابن الجوزي ٥١/٣).

٢- أم عروة بنت جعفر بن الزبير:

ـ لم أجد من ترجم لها بل تُذكَر في مَنْ روى عن أبيها جعفر بن الزبير.

قال الزبير بن بكار: [روت عن أبيها جعفر بن الزبير قال الزبير وقد رأيتها] وعلّق الشيخ محمود شاكر بقوله: [لم أجد لها ذكراً إلا في ترجمة أبيها في طبقات ابن سعد].

وقال البخاري في التاريخ الصغير: [ماتت أم عروة بنت جعفر بن الزبير بن العوام سنة اثنتين أو إحدى وثمانين ومائة]. وقال الهيثمي فيها وفي أبيها: [لم أعرفهما].

● **قلت**: فهي إذاً مجهولة.

ـ انظر: الطبقات لابن سعد (١٨٤/٥). التاريخ الكبير للبخاري (١٩٠/٢). تهذيب التهذيب (٦٢/٢)- (مجمع الزوائد ١١٨/٦)- جمهرة النسب (٣٤٩)- التاريخ الصغير للبخاري (٢٠٧/٢).

٣- جعفر بن الزبير بن العوام:

ـ قال ابن أبي حاتم: [روى عنه الزبير. روى عنه ابن أبي ذئب وأم جعفر سمعت أبي يقول ذلك] ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وهكذا البخاري في تاريخه الكبير.

وترجم له ابن سعد في الطبقات وذكر أولاده ثم قال: [بقي حتى مات في آخر خلافة سليمان بن عبدالملك]..

وذكره الحافظ في (تهذيب التهذيب) وقال: [روى عنه أولاده شعيب ومحمد وأم عروة وهشام. وهشام بن عروة. وكان شاعراً مجيداً].

وذكره ابن حبان في الثقات. وقال الهيثمي فيه وفي ابنته: [لم أعرفهما].

فهو بهذا يكون مجهولاً. حيث لم يوثقه سوى ابن حبان. وتوثيقه بمفرده لا يعتمد عليه.

قال الحافظ في مقدمة (لسان الميزان): [وهذا الذي

ذهب إليه ابن حبان من أن الرجل إذا انتفت جهالة عينه كان على العدالة إلى أن يتبين جرحه مذهب عجيب. والجمهور على خلافه][1].

ـ انظر: طبقات ابن سعد (٥/١٨٤)- الجرح والتعديل (٢/٤٧٨)- التاريخ الكبير (٢/١٩٠)- الثقات (٤/١٠٥) تهذيب التهذيب (٢/٩٢).

جـ- الحكم على الإسناد: ضعيف جداً. لما عَرَفْتَ من جهالة أم عروة وأبيها والقول في الفروي وابن زبالة. بالإضافة إلى ما رأيت من الاضطراب في سنده.

ـ قال الهيثمي في إسناد البزار وأبي يعلى: (ضعيف). (المجمع ٦/١٣٧).

وقال في رواية الطبراني: [رواه الطبراني في الكبير والأوسط من طريق أم عروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات] (المجمع ٦/١١٨).

* * *

(١) ص ١٤.

٣- الإسناد الثالث:

يرويه هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير [أن النبي ﷺ أدخل النساء يوم الأحزاب أطماً من آطام المدينة.

وكان حسان بن ثابت رجلاً جباناً فأدخله مع النساء وأغلق الباب.

فجاء يهودي فقعد على باب الأطم.

فقالت صفية بنت عبدالمطلب: انزل حسان إلى هذا العلج فاقتله.

فقال: ما كنت لأجعل نفسي خطراً لهذا العلج.

فائتزرت بكساء وأخذت فهراً[1] فنزلت إليه فقطعت رأسه].

أ - أخرجه: الطبراني في الكبير (٢٤/٣١٩) واللفظ له من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة.

والحاكم في مستدركه (٤/٥١) من طريق يونس بن بكير عن هشام به.

وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٤١) من طريق حماد

---

(١) الفهر: الحجر (لسان العرب).

ابن أسامة حدثنا هشام به. ولكنه جعل الغزوة (أحداً) بدلاً من (الخندق).

فهولاء الثلاثة (يونس بن بكير وحماد بن سلمة وحماد ابن أسامة) ثقات من رجال الصحيح يروون القصة عن هشام بن عروة عن أبيه. فسأكتفي بهشام وأبيه وارجىء الحديث عن ما في الروايات من اختلاف قليلاً.

ب- هشام بن عروة: من صغار التابعين. قال عنه ابن سعد: [كان ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة].

ووثقه العجلي.

وقال أبو حاتم: [ثقة إمام في الحديث].

وأدخله ابن حبان في ثقاته وقال: [كان متقناً ورعاً فاضلاً حافظاً].

قال ابن حجر في التقريب: [ثقة فقيه ربما دلس من الخامسة].

انظر: طبقات ابن سعد (٣٢١/٧)- تاريخ الثقات (٤٥٩)- تهذيب التهذيب (٤٨/١١)- الثقات (٥٠٢/٥)- التاريخ الكبير (١٩٣/٨)- الجرح والتعديل (٦٣/٩)- تقريب التهذيب (٥٧٣).

٢- عروة بن الزبير: أحد الفقهاء السبعة متفق على توثيقه.

أخرج له الجماعة.

قال النووي: [مجمع على جلالته وعلو مرتبته ووفور علمه].

وقال ابن سعد: [كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالياً مأموناً ثبتاً].

وقال العجلي: [مدني تابعي ثقة].

قال ابن حجر: [ثقة فقيه مشهور].

ـ انظر: الثقات (١٩٤/٥)- التاريخ الكبير (٣١/١/٤)- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم للربعي (٢٢١/١-٢٢٥)- تهذيب التهذيب (١٨٠/٧)- طبقات خليفة (٢٤١)- طبقات ابن سعد (١٧٨/٥)- الجرح والتعديل (٣٩٥/٣)- تذكرة الحفاظ (٦٢/١) تهذيب الأسماء للنووي (٣٣٢/١)- الكاشف للذهبي (٢٢٩/٢)- التاريخ الصغير (٢٦٦/١)- وفيات الأعيان (٢٥٥/٣)- تقريب التهذيب (٣٨٩).

جـ- الحكم على الإسناد: رجاله ثقات لكنه مرسل.

والمرسل كما سبق من أقسام الضعيف. وكما سيأتي أيضاً.

ـ قال الحاكم بعد إخراجه: [هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه] (٥١/٤).

ـ تعقبه الذهبي بقوله: [قلت: عروة لم يدرك صفية] (٥١/٤).

ـ قال الهيثمي بعد إخراجه: [رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح ولكنه مرسل] (١٣٧/٦) أي أن عروة لم يدرك صفية كما قال الذهبي.

ـ وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: [أخرجه الحاكم ورجاله ثقات لكنه مرسل] (أعلام النبلاء ٥٢٢/٢).

○ **شبهة وردها:**

ـ قد يقول قائل: عروة بن الزبير قد صرّح بالسماع من صفية عند الحاكم بقوله: [سمعتها تقول] فكيف يجعله العلماء مرسلاً مع هذا التصريح.

● **قلت:** قد اعتمد على هذا الخطأ الصالحي في سيرته بقوله: [إن كان عروة أدرك جدته فسند القصة جيد قوي] (٥٦٤).

● قلت: لم يدرك عروة جدته. وإنما الخطأ وقع في رواية يونس بن بكير عن هشام عند الحاكم دون رواية حماد بن سلمة وحماد بن أسامة.

ويونس بن بكير هذا من رجال الصحيح لكنه (صدوق يخطىء) كما قال الحافظ (التقريب ٦١٣) فالخطأ لا شك منه.

ويؤكد ذلك أمور:

١- عدم تصريح عروة بالسماع في روايتي حماد بن سلمة وحماد بن أسامة وهما أوثق من يونس.

٢- عدم اعتماد العلماء الذين تكلموا على هذا الحديث على هذا التصريح بل اعتبروا الحديث مرسلاً كما سبق[1].

٣- أن عروة لم يدرك صفية تحقيقاً: فقد ماتت صفية رضي الله عنه في سنة ٢٠ هـ كما في رواية الجمهور.

قال ابن قدامة في التبيين: [ماتت سنة ٢٠ هـ في خلافة عمر رضي الله عنه ولها ٧٣ سنة].

وقال ابن سعد: [توفيت صفية في خلافة عمر بن

---

(١) قال الشيخ محمد رشيد رضا جواباً عن قول الهيثمي في سندٍ رواه عروة عن صفية بأنه [رواه الطبراني وإسناده حسن] فقال رشيد رضا: [أنّى له الحسن وعروة ولد بعد وفاة الرسول ﷺ بتسع عشرة سنة فإنه ولد سنة ٢٩ هـ كما في التهذيب ونحوه، فإذا كانت روايته عن أبيه مرسلة فكيف روايته عن أم أبيه في قصة وفاة رسول الله ﷺ التي ولد بعدها بتسع عشرة سنة؟ فهي رواية منقطعة مرسلة] (ص ٢٨١ من تعليقه على كتاب صيانة الإنسان للسهسواني) **قلت**: الصواب في ولادته ما يأتي وهو أنه ولد سنة ٢٣ هـ وعلى كلا التقديرين لم يدركها.

الخطاب].

وأخرج الحاكم في المستدرك بسنده عن سعيد بن كثير ابن عفير قال: [توفيت صفية بنت عبدالمطلب أم الزبير بن العوام سنة ٢٠ وهي يوم توفيت بنت ٧٣ وصلى عليها عمر ابن الخطاب ودفنها بالبقيع].

● **قلت**: وسعيد بن كثير هذا قال عنه الحافظ ابن حجر: [صدوق عالم بالأنساب وغيرها] فقوله مقدّم على غيره.

وقال الحافظ أيضاً: [وعاشت إلى خلافة عمر].

وفي الإستيعاب لابن عبدالبر [توفيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٠ ولها ٧٣ سنة].

وقال الذهبي: [توفيت صفية في سنة ٢٠ هـ ودفنت بالبقيع ولها بضع وسبعون سنة].

وكذا ذكرها الحافظ ابن كثير في وفيات سنة ٢٠ هـ من تاريخه البداية والنهاية.

ــ فهذه أقوال أهل التحقيق في وفاتها رضي الله عنها. واختيارهم لهذا دليل على ضعف ما روى من أنها توفيت في خلافة عثمان[1].

---

(١) التاريخ الصغير للبخاري (٩١/١) عن هشام بن عروة.

ـ انظر: التبيين في أنساب القرشيين لابن قدامة (١٤٠)- سير أعلام النبلاء (٢٧١/٢)- طبقات ابن سعد (٤٢/٨)- طبقات خليفة (٣٣١)- المستدرك للحاكم (٥٠/٤)- أسد الغابة (١٧٢/٦)- الإصابة (١٨/١٣)- الاستيعاب (٦٦/١٣).

ـ أما عروة بن الزبير: فقد ولد سنة ٢٣ هـ على القول الصحيح الذي اختاره المحققون.

قال خليفة في تاريخه[١]: [ولد عروة سنة ٢٣] وعلّق الذهبي بقوله: [هذا قول قوي][٢].

ويشهد له ما رواه حماد بن أسامة عن هشام عن أبيه قال: [رُددت أنا وأبو بكر بن عبدالرحمن يوم الجمل استُصغِرنا] ومعلوم أن يوم الجمل كان سنة ٣٦ هـ[٣] فيكون عمره حينذاك ١٣ عاماً على القول بأن ولادته سنة ٢٣ هـ وهو ما أيده ابن أبي خيثمة ويحيى بن معين.

(١) تاريخ خليفة (١٥٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٢٢/٤).

(٣) قال ابن حزم: [لا خلاف بين أحد من أهل العلم بالأخبار أن يوم الجمل كان لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين] (الأحكام ٢٥٩/١).

قال الذهبي: [كل هذا مطابق لأنه ولد سنة ٢٣ هـ].

وقال الحافظ في التقريب: [مولده في أوائل خلافة عثمان].

ـ ويشهد له أيضاً أن أبا بكر بن عبدالرحمن الذي رُدّ معه يوم الجمل مولود في آخر خلافة عمر رضي الله عنه[1].

ـ ويشهد لذلك أيضاً أن أحداً من المصنفين المعتمدين في علم الرجال كالبخاري وابن أبي حاتم والحافظ والذهبي لم يذكر صفية بنت عبدالمطلب فيمن روى عنه عروة. وهم الذين يتحرون في الرواة وشيوخهم، بل ويجعلون المروي عنه شيخاً للراوي في حديث واحد فقط.

ـ انظر: المصادر المذكورة في ترجمة عروة سابقاً. وأيضاً: سير أعلام النبلاء (٤٢١/٤).

* * *

(١) تهذيب التهذيب (٣٠/١٢)- طبقات ابن سعد (٢٠٧/٥).

٤- الإسناد الرابع:

يرويه الزبير بن بكار قال: حدثنا علي بن صالح عن جدي عبدالله بن مصعب عن أبيه قال: [كان ابن الزبير يحدِّث أنه كان في فارع- أطم حسان بن ثابت- مع النساء يوم الخندق ومعهم عمر بن أبي سلمة.

قال ابن الزبير ومعنا حسان بن ثابت ضارباً وتداً في آخر الأطم، فإذا حمل أصحاب رسول الله ﷺ على المشركين حمل على الوتد فضربه بالسيف. وإذا أقبل المشركون انحاز عن الوتد حتى كأنه يقاتل قِرناً. يتشبه بهم. كأنه يرى أنه مجاهد حين جَبُن.

وإني لأظلم ابن أبي سلمة وهو أكبر مني بسنتين فأقول له تحملني على عنقك حتى أنظر فإني أحملك إذا نزلت.

قال: فإذا حملني ثم سألني أن يركب قلت له هذه المرة أيضاً.

قال: وإني لأنظر إلى أبي معلماً بصُفرة. فأخبرتها أبي بعد فقال أين كنت حينئذٍ. فقلت: على عنق ابن أبي سلمة يحملني.

فقال: أما والذي نفسي بيده إن رسول الله ﷺ لَيَجْمَع

لي أبويه.

قال ابن الزبير: وجاء يهودي يرتقي إلى الحصن فقالت صفية له: اعطني السيف فأعطاها فلما ارتقى اليهودي ضربته حتى قتلته. ثم احتزّت رأسه فأعطته حسان وقالت طَوِّح به فإن الرجل أقوى وأشد رميه من المرأة تريد أن ترعب به أصحابه.

قال الزبير وحدثني عمي عن الواقدي قال: كان أكحل حسان قد قطع فلم يكن يضرب بيده.

قال الزبير وحدثني علي بن صالح عن جدي أنه سمع أن حسان بن ثابت أنشد رسول الله ﷺ:

لقد غدوت أمام القوم منتطقاً

بصارم مثل لون الملح قطاع

يحفز[1]عني نجاد السيف سابغة[2]

فضفاضه مثل لون النهي[3]بالقاع

(١) يحفز: يدفع.

(٢) سابغة: درع طويلة.

(٣) النهي: الغدير.

قال فضحك رسول الله ﷺ. فظن حسان أنه ضحك من صفته نفسه مع جبنه].

أ- أخرجه- أبو الفرج الأصبهاني في كتابه (الأغاني) (١٦٩/٤).

ب- رجال الإسناد:

١- الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام النسّابة المشهور.

قال الخطيب البغدادي [كان ثقة ثبتاً عالماً بالنسب عارفاً بأخبار المتقدمين وسائر الماضين. وله الكتاب المصنف في نسب قريش وأخبارهم... قال الدارقطني: الزبير بن بكار ثقة].

ـ قال الحافظ: [قال أبو القاسم البغوي كان ثبتاً عالماً ثقة]. [وقال أحمد بن علي السليماني في كتاب الضعفاء له كان منكر الحديث وهذا جرح مردود ولعله استنكر إكثاره عن الضعفاء مثل محمد بن الحسن بن زبالة وعمر بن أبي بكر المؤملي وعامر بن صالح الزبيري وغيرهم فإن في كتاب النسب عن هؤلاء أشياء كثيرة منكرة].

وقال رحمه الله في التقريب [ثقة أخطأ السليماني في

تضعيفه].

● **قلت:** ورَدَّ عنه هذا الطعن أيضاً الحافظ الذهبي في الميزان بقوله: [الزبير بن بكار الإمام صاحب النسب قاضي مكة ثقة من أوعية العلم، لا يُلتَفَت إلى قول أحمد بن علي السليماني حيث ذكره في عداد من يضع الحديث وقال مرةً منكر الحديث].

ـ انظر: تاريخ بغداد (٤٦٧/٨)- ميزان الاعتدال (٦٦/٢)- تهذيب التهذيب (٣١٢/٣)- تقريب التهذيب (٢١٤).

٢- **علي بن صالح:** ذكره الحافظ في (تهذيب التهذيب) تمييزاً فقال: [علي بن صالح المدني عن عامر بن صالح الزبيري وعبدالله بن مصعب ويعقوب بن محمد الزهري. وعنه المفضل بن غسان والزبير بن بكار وغيرهما].

ـ وقال في (التقريب): [مستور من الحادية عشرة].

ـ فهو مجهول لم يُوَثَّق.

ـ انظر: تهذيب التهذيب (٣٣٤/٧)- تقريب التهذيب (٤٠٢).

٣- **عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام** جد الزبير بن بكار.

قال الخطيب: [قدم بغداد مرات وولاه الرشيد إمارة

المدينة واليمن. وكان محموداً في ولايته جميل السيرة مع جلالة قدره وعظم شرفه. وتوفي بالرقة في صحبة الرشيد].

ونقل عن يحيى بن معين قوله فيه: [كان ضعيف الحديث لم يكن عنده كتاب إنما كان يحفظ].

وقال أبو حاتم: [هو شيخ بَابَة عبدالرحمن بن أبي الزناد][1].

● **قلت:** ذكره ابن حبان في ثقاته.

وقال الهيثمي عنه: [ضعيف].

● **قلت:** هو ضعيف حيث لم يوثقه سوى ابن حبان وقد عرفت ما في توثيقه لا سيما في مقابلة الأئمة المضعفين له فقولهم مقدم لا شك عليه.

— انظر: طبقات ابن سعد (٥/٤٣٤)- التاريخ الكبير للبخاري (٥/٢١١)- الجرح والتعديل (٥/١٧٨)- الثقات لابن حبان (٧/٥٦)- تعجيل المنفعة (٢٣٥)- أعلام النبلاء (٨/٥١٧)- البداية والنهاية (١٠/١٩٢)- تاريخ بغداد (١١/١٧٣)- ميزان الاعتدال (٢/٥٠٥)- مجمع الزوائد (٤/٧٥).

---

(١) قوله: (بَابَة عبدالرحمن) أي مثله أو على شرطه. وابن أبي الزناد مُتكلَّم فيه. انظر (شفاء العليل بألفاظ وقواعد الجرح والتعديل) للشيخ مصطفى بن إسماعيل (١/٤٢٣).

٤- مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام. والد [عبدالله بن مصعب]- قال عنه ابن سعد: [كان كثير الحديث يُستَضْعَف].

وقال أحمد بن حنبل: [أراه ضعيف الحديث].

وضعفه يحيى بن معين.

قال أبو حاتم: [صدوق كثير الغلط ليس بالقوي].

وقال أبو زرعة: [ليس بقوي].

وقال النسائي أيضاً: [ليس بالقوي].

وقال ابن حبان في المجروحين: [منكر الحديث ممن ينفرد بالمناكير عن المشاهير. فلما كثر ذلك منه استحق مجانبة حديثه] وقال الدارقطني: [مدني ليس بالقوي].

وقال ابن حجر: [أرسل عن جده] أي عبدالله بن الزبير وقال في التقريب: [لين الحديث وكان عابداً].

وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (١٠٤/٦): [الظاهر أن من ضعفه فإنما ذهب إلى كثرة غلطه كما فعل أبو حاتم].

ـــ انظر: تتمة طبقات ابن سعد (٤٢٢)- الجرح والتعديل (٣٠٤/٨)- الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢٤١)- ميزان الاعتدال (١١٨/٤)-

المجروحين لابن حبان (٣/٢٨) تهذيب التهذيب (١٠/١٥٨)- تقريب التهذيب (٥٣٣).

جـ - الحكم على الحديث: ضعيف لهذه العلل:

١- جهالة علي بن صالح المدني.

٢- ضعف عبد الله بن مصعب.

٣- ضعف مصعب بن ثابت.

٤- انقطاعه بين مصعب بن ثابت وجده عبدالله بن الزبير.

٥- اضطراب متنه ومعارضته لما في الصحيحين.

ـ أما اضطراب متنه فسيأتي.

ـ وأما معارضته لما في الصحيحين فلأن صاحبي الصحيح وغيرهم قد أخرجوا هذه القصة عن عبدالله بن الزبير. وبالتأمل في روايتهم مقارنةً بهذه الرواية يظهر للقارىء ضعف هذه الرواية وتعارضها مع ما أخرجوه في هذه الأمور:

١- لم تتعرض رواية الصحيحين لحسان بن ثابت رضي الله عنه بأنه كان موجوداً مع النساء أثناء الغزوة وأنه قام بتلك الأفعال المضحكه..! التي لا يفعلها إلا الصبيان الذين لا يأبهون لمن حولهم.

وفي ظني أن الملفق لهذه الرواية عند ما سمع بأن النساء والصبيان كانوا في أطم حسان أثناء الغزوة- وهذا ثابت في الصحيحين- ظن أنه معهم ولابد. فألقى بما ألقى جهلاً وافتراءً.

٢- في رواية صاحب الأغاني قال ابن الزبير: [وإني لأظلم ابن أبي سلمة، وهو أكبر مني بسنتين فأقول له: تحملني على عنقك حتى أنظر فإني أحملك إذا نزلت قال: فإذا حملني ثم سألني أن يركب قلت: له هذه المرة أيضاً]. أي أن ابن الزبير كان يخدع عمر..!.

والذي ثبت في الصحيحين خلاف هذا.

فقد أخرج مسلم القصة وفيها قول ابن الزبير عن عمر: [فكان يطأطئ لي مرة فأنظر. وأطأطئ له مرة فينظر] أي أن كلاً منهما يعين الآخر. وهذا الظن بأبناء الصحابة.

فأين خداع ابن الزبير لعمر؟.

أم أن القصة لا تطرب السامع إلا بتلك الزيادات المكذوبة[1].

(١) قال السيد محب الدين الخطيب رحمه الله: [من براعة هؤلاء =

٣- في رواية الصحيحين لا ذكر لقصة صفية وحسان وهما أولى الناس بإخراجها في فضائلها لو كانت ثابتة.

أما رواية صاحب الأغاني فقد ذكرها كاملة بزياداتها المفتعلة.

٤ - في رواية صاحب الأغاني أن ابن الزبير قال: [وإني لأنظر إلى أبي معلّماً بصفره. فأخبرتها أبي بعد].

فقوله [معلماً بصفره] مما يزيد القصة اضطراباً. فالذي في الصحيحين أن الزبير مر راكباً فرسه يختلف إلى بني قريضة. دون ذكرٍ [للصفره] وإنما وردت (الصفره) في هذه القصة موصوفاً بها (سعد بن معاذ) كما في رواية الحاكم والبزار السابقة على ما فيها من ضَعف.

= المغرضين في تحريف الوقائع ودس أغراضهم فيها وتوجيهها بحسب أهوائهم لا كما وقعت بالفعل انهم كانوا يعمدون إلى حادثة وقعت بالفعل فيوردون منها ما كان يعرفه الناس ثم يُلصقون بها لصيقاً من الكذب والإفك يوهمون أنه من أصل الخبر ومن جملة عناصره. فيأتي الذين بعدهم فيجدون الخبر القديم مختصراً فيحكمون عليه بأنه ناقص ويقولون: من حفظ حجة على من لم يحفظ. ويتناولون الخبر بما لصق به من لصق مفتري. حتى تكون الرواية الجديدة وما في بطنها من جنين الإثم هي المتداولة بين الناس] أهـ من تعليقه على (مختصر التحفة الإثنى عشرية) للألوسي (ص ٣٢٢).

● قلت: وحروفه السابقة رحمه الله تنطبق على هذه القصة حرفاً حرفاً.

٥- الإسناد الخامس:

ـ يرويه الواقدي في مغازيه (٤٦٢/٢) عند ذكر أحداث غزوة الخندق حيث قال: [حدثني شيخ من قريش- قال ابن أبي الزناد وابن جعفر هنا أثبت من الذي في أحد- قال: كان حسان بن ثابت رجلاً جباناً...] وذكر القصة.

ومع جهالة هذا الشيخ القرشي الذي حدثه فإن الإسناد كما ترى منقطع.

ـ وأما قوله: [قال ابن أبي الزناد... إلخ] فلعله يعني بذلك أن القصة ثابتة في غزوة الخندق لا أحد. لأنه أخرج القصة أيضاً في غزوة أحد من قبل (٢٨٨/١) ولكن بدون إسناد.

ولم يكن في نيتي ذكر هذا الإسناد الساقط لولا أني حرصت على استيعاب ما تيسر من أسانيد هذه القصة.

* * *

اضطراب الروايات

وبالفراغ من تعقب أسانيد هذه القصة تبدأ حملة أخرى على متنها بتبيين التعارض والاضطراب فيما بين هذه الروايات المتعددة.

ولتسهيل الإحالة على تلك الروايات السابقة سأسميها كالآتي:

١- الإسناد الأول (رواية ابن إسحق).

٢- الإسناد الثاني (رواية أم عروة).

٣- الإسناد الثالث (رواية عروة).

٤- الإسناد الرابع (رواية صاحب الأغاني).

٥- الإسناد الخامس (رواية الواقدي).

١- في رواية ابن إسحق وأم عروة عند الحاكم. ورواية عروة عند الحاكم وعند الطبراني ورواية صاحب الأغاني وإحدى روايات الواقدي أن القصة كانت في غزوة (الخندق).

- وفي رواية ابن سعد ورواية أم عروة عند الطبراني وعند البزار وإحدى رويات الواقدي أن القصة كانت في غزوة (أحد) لا الخندق.

- وفي رواية أم عروة عند أبي يعلى لم يذكر الغزوة واكتفى بقوله: [لما خلّف رسول الله ﷺ نساءه بالمدينة...].

• **قلت**: وهذا الإضطراب مؤثر في القصة ومبين لتهافتها ولا يمكن الجمع والترجيح لما رأيت من ضعف أسانيد القصة وصعوبة ترجيح إحداها على الأخرى.

وأيضاً فإن هذا الاختلاف الكبير قد أصاب أسانيد الرواية الواحدة. ففي إسناد يذكر أن الغزوة (الخندق) وفي آخر أنها (أحد) كما في رواية أم عروة مثلاً.

ـ ولهذا الاضطراب الجلي ذكر الهيثمي القصة في مجمع الزوائد في موضعين بحسب اختلاف متنها.

فذكرها مرة في (أحد) (٦/١١٧).

ومرة في (الخندق) (٦/١٣٧) ولم يرجح شيئاً.

ـ ولهذا أيضاً فقد ذكر بعض المؤلفين القصة في غزوة (أحد) بدلاً من الخندق مخالفاً بذلك الأكثرين. كما صنع اليعقوبي في تاريخه (٢/٤٨).

أما الذهبي رحمه الله فقد وهّم في كتابة السير (٢/٥٢٢) مَنْ جعل الغزوة في أحد. بقوله بعد إخراجه لرواية أم عروة [قوله يوم أحد وهم].

• **قلت**: نعم يكون وهماً لو انفرد بها راو والآخرون على خلافه.

أما وقد جاءت القصة من طرق مختلفة تقول بأنها في غزوة الخندق. وأخرى مثلها تقول إنها في أحد فإنه لا يمكن الترجيح بينها باختيار رواية دون أخرى لأن الروايات– كما علمت– متكافئة فهي تنتقل بين الضعف والإرسال فليس فيها صحيح وآخر ضعيف.

فقوله: (وهم) لا يكفي في هذا المقام..![1].

● **قلت:** وعلى ما علمت– أخي القارىء– من اضطراب متن القصة وفي أي ا لغزوتين وقعت.

فلتعلم يقيناً أن رفع النساء والصبيان [كابن الزبير وعمر ابن أبي سلمة] إلى الآطام كان في غزوة الخندق كما ثبت في رواية الصحيحين ولكن دون تَعَرُّضٍ لقصة حسان

---

(١) جاء في سيرة ابن هشام (٩٢/٣) عند ذكر قصة مقتل حمزة [قال ابن إسحق حدثني صالح بن كيسان أنه حُدِّث: أن عمر بن الخطاب قال لحسان: يا بن الفُريعة لو سمعت ما تقول هند ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا وتذكر ما صنعت بحمزة؟ قال له حسان: والله إني لأنظر إلى الحربة تهوي وأنا على رأس فارع. فقلت: والله إن هذه لسلاح ما هي بسلاح العرب..] وهذا إسناد منقطع كما ترى. على ما في متنه من نكارة فهل يُعقل أن يرى حسان الحربة تطير إلى حمزة من تلك المسافات الطويلة...!.

وصفية كما نبهتك سابقاً.

ـ وأظن والعلم عند الله أن الحافظ[1] والذهبي رجحا أن القصة وقعت في الخندق ووهَّما من قال أنها في أحد لرواية الصحيحين المصرِّحة بذلك، فظننا أن قصة حسان كانت ضمن أحداث الغزوة.

٢- في رواية ابن إسحق ورواية عروة عند الحاكم ورواية ابن سعد أن صفية رضي الله عنها [احتجزت ثم أخذت عموداً] والعمود: الخشبة أو قضيب الحديد كما في اللسان.

ـ وفي رواية أم عروة عند الحاكم والبزار أنها قالت لحسان: [اربط هذا السيف على ذراعي فربطه].

ـ وفي رواية الواقدي [فاحتجزت صفية بثوبها ثم أخذت خشبة].

ـ وفي رواية أم عروة عند أبي يعلى [فتناولت صفية السيف] أي بنفسها..!.

ـ وفي روايتها عند الطبراني لا ذكر للآلة مطلقاً.

ـ وفي رواية (صاحب الأغاني) أنها قالت لحسان: [اعطني

---

(١) وذلك في نقله لرواية ابن سعد في الإصابة (١٣/١٩) وتعديلها من (أحد) إلى (الخندق).

السيف فأعطاها] أي لم يربطه..!.

ــ وفي رواية (عروة) عند الطبراني أن صفية [ائتزرت بكساء وأخذت فهراً].

● **قلت:** فأي تلك الروايات السابقة هي الصواب؟ أقتلت اليهودي بعصا أم بسيف أم بحجر..؟.

٣- في رواية ابن إسحق ورواية (عروة) عند الحاكم أن صفية قالت: [ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. قالت فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت يا حسان أنزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل قال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنة عبدالمطلب] فهي إذن قتلته و لم تسلبه وطلبت من حسان أن يسلبه لأنه رجل.

ــ وفي رواية (عروة) عند ابن سعد [فأخذت عموداً فنزلت فختلته حتى فتحت الباب قليلاً قليلاً ثم حملت عليه فضربته بالعمود فقتلته] دون ذكر للسلب أو قطعٍ للرأس.

ــ وفي رواية أم عروة عند الحاكم واللفظ له- والبزار. ورواية (صاحب الأغاني) بنحوها [فضربت رأسه حتى قطعته فقلت له: خذ بأذنيه فارم به عليهم فقال والله ما ذلك في فأخذت برأسه فرميت به عليهم فتضعضعوا...].

ـــ وفي رواية عروة عند الطبراني [وأخذت فهراً فنزلت إليه فقطعت رأسه].

ـــ وفي رواية الواقدي [فضربته ضربة شدخت رأسه فقتلته فهرب من بقي منهم] أي دون أن ترمي الرأس عليهم..!

● قلت: فأي تلك الروايات هو الصواب؟.

أقتلته وعادت؟ أم قتلته وأمرت حسان أن يسلبه؟.

أم قتلته واحتزت رأسه وأمرت حسان أن يرمي به عليهم فرفض لجبنه. فرمت به عليهم؟.

* * *

● **شبهة وردها:**

ـ يقول قائل: لقد ثبت أن النبي ﷺ ضرب لصفية سهماً كما في رواية أبي يعلى [فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فضرب لصفية بسهم كما كان يضرب للرجال].

وأخرجه أحمد بسند رجاله ثقات كما قال الهيثمي (المجمع ٣٤٢/٥) فلعله كان في هذه القصة.

● **أقول**: أما ما أخرجه أبو يعلى ختاماً لهذه القصة فقد علمت ما فيه، وأما ما ذكره الإمام أحمد في مسنده فهو قوله: [حدثنا عتاب حدثنا عبدالله حدثنا فليح بن محمد عن المنذر بن الزبير عن أبيه أن النبي ﷺ أعطى الزبير سهماً وأمه سهماً وفرسه سهمين].

ولكن هذا سند منقطع بين فليح بن محمد وجده المنذر ابن الزبير.

قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٨/٢): [في إسناده نظر والظاهر أنه منقطع. فليح بن محمد ترجم له البخاري في الكبير قال: فليح بن محمد بن المنذر بن الزبير ابن العوام القرشي المدني عن أبيه مرسل روى عنه ابن المبارك وقال الحافظ في التعجيل (٣٣٥) بعد أن ذكر هذا

الحديث وأن فليحاً روى عن المنذر بن الزبير: (لكن ابن حبان ذكر فليحاً في الطبقة الرابعة من الثقات فساق نسبه كما في هذه الترجمة. لكن قال روى عن أبيه فلو كان عنده أنه روى عن جده لذكره في الطبقة الثالثة) اهـ كلامه رحمه الله[1].

● **قلت**: وهذا على القول بأن فليحاً ثقة حيث لم يوثقه سوى ابن حبان.

ـ ومما يؤيد ضعف ضرب السهم لصفية رضي الله عنها لمشاركتها في الغزوة أن هذا معارض لقول الجمهور في أن النساء لا يُضْرَب لهن بسهم في الحرب.

---

(١) مسند أحمد (١٤٢٥ شاكر).

تنبيه: وهم الأخ الفاضل/ حسين أسد. في تعليقه القيم على مسند أبي يعلى (٤٤/٢) حيث جعل سند الحديث [فليح بن محمد بن المنذر بن الزبير عن أبيه] وضعفه بأن فليح عن أبيه مرسل كما قال البخاري. وصواب السند كما في المسند (١٦٦/١) وتعجيل المنفعة (٣٣٥) [فليح بن محمد عن المنذر بن الزبير عن أبيه] أي عن جده لا أبيه فهو مرسل حتماً.

ثم على صنيع الأخ حسين حفظه الله يكون ضعف السند من جهة انقطاعه بين محمد بن المنذر والرسول ﷺ. لا لإرساله فقط.

قال ابن قدامة: [هذا قول أكثر أهل العلم][1].

قال: [لأن المرأة ضعيفة يستولى عليها الخور فلا تصلح للقتال].

● **قلت:** وحجة الجمهور هو ما أخرجه مسلم عن ابن عباس في رده على نجده الحروري عند ما سأله عن النساء [هل كان يضرب لهن بسهم].

فقال ابن عباس: [وسألت عن المرأة والعبد هل كان لهما سهم معلوم إذا حضروا البأس؟ فإنه لم يكن لهم سهم معلوم إلا أن يُحْذَيا من غنائم القوم][2].

● **قلت:** ولعل ضرب السهم لصفية إن ثبت يكون من سهم ذوي القربى في بعض الغزوات. والله أعلم.

ـــ وبعد هذا الاضطراب في متن هذه القصة الضعيفة والإجابة عن الشبهة السابقة هل بقي من شك أو شبهة تحول بيننا وبين إسقاط هذه القصة من تاريخنا وخصوصاً تاريخ حسان بن ثابت شاعر الإسلام؟.

---

(١) المغني (٩/٢٠٤).

(٢) مسلم (حديث ١٨١٢).

ـ نعم.. بقي شبهة أخيرة قد يثيرها بعض طلاب العلم. بأن يقول: علمنا أن القصة وردت بتلك الأسانيد السابقة وعلمنا ما فيها من وهن بل وعلمنا اضطراب الراويات الذي ذكرته آنفاً. ولكنّا لا نقول بقولك في هذا الاضطراب والضعف بل نُسقِط الروايات الواهية جداً ليبقى لنا بعدها روايتان مرسلتان تشد إحداهما الأخرى فتكون القصة ثابتة من قبيل الحديث الحسن لغيره.

والروايتان المرجَّحَتَان هما:

١- رواية ابن إسحق من مرسل عباد بن عبدالله بن الزبير.

٢- رواية هشام بن عروة عن أبيه.

ويؤيدنا على ذلك بعض علماء الحديث.

ـ قال الشافعي في بيان المرسل المقبول [ينظر هل يوافقه مرسل غيره ممن قبل العلم عنه من غير رجاله الذين قبل عنهم؟ فإن وجد ذلك كانت دلالة يقوى له مرسله][1].

ـ وقال ابن الصلاح: [اعلم أن حُكمَ المرسل حكم الحديث الضعيف إلا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه

(١) الرسالة (٤٦١) نقلاً عن مقدمة المراسيل لأبي داود (٢٧).

آخر][1] وهذا مرسل قد جاء من وجه آخر.

ـ وقال ابن حجر في النخبة: [ومتى توبع السيء الحفظ بمعتبر وكذا المستور والمرسل والمدلس صار حديثهم حسناً لا لذاته بل بالمجموع][2].

وقال في بيان علة قبول المرسل إذا جاء من طريق أخرى بأن [المجموع حجة لا مجرد المرسل وحده ولا المنضمّ وحده. فإن حالة الاجتماع تثير ظناً غالباً وهذا شأنٌ لكل ضعيفين اجتمعا][3].

● **قلت**: قد اعتمد على هذه الأمور السابقة الأخ الفاضل/ سعد الحميّد فجعل هذه القصة من قبيل الحسن لغيره فقال في رواية هشام بن عروة عن أبيه [الحديث ضعيف بهذا الإسناد لما تقدم في دراسة الإسناد وهو حسن لغيره بالطريق الثانية التي رواها ابن إسحق والله أعلم][4].

---

(١) التقييد والإيضاح (٧٣).

(٢) ص ٥٥.

(٣) النكت (٥٦٦/٢).

(٤) مختصر استدراك الحافظ الذهبي لابن الملقن (٢٤٢٣/٥).

● قلت: ولكن يدفع هذا القول أمور سأذكرها في نقاط:

١- اعلم أن الحديث المرسل ولو كان المرسِل ثقة، لا يحتج به عند أئمة الحديث كما سبق نقله عن ابن الصلاح وزاد رحمه الله أيضاً قوله: [وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث ونقاد الأثر][1].

٢- اعلم أن سبب عدم احتجاجهم بالمرسل هو جهالة الواسطة التي روى عنها المرسل الحديث.

قال الخطيب البغدادي: [والذي نختاره سقوط فرض العمل بالمراسيل وأن المرسَل غير مقبول والذي يدل على ذلك أن إرسال الحديث يؤدي إلى الجهل بعين راويه ويستحيل العلم بعدالته مع الجهل بعينه. وقد بينا من قبل أنه لا يجوز قبول الخبر إلا ممن عُرِفت عدالته فوجب كذلك كونه غير مقبول وأيضاً فإن العدل لو سئل عمن أرسل عنه؟ فلم يعدله لم يجب العمل بخبره إذا لم يكن معروف العدالة من جهة غيره وكذلك حاله إذا ابتدأ الإمساك عن

---

(١) التقييد والإيضاح (٧٣).

ذكره وتعديله لأنه مع الإمساك عن ذكره غير معدل له، فوجب أن لا يقبل الخبر عنه][1].

وقال ابن حجر في شرح النخبة في بيان علة رد المرسل: [وإنما ذُكِر في قسم المردود للجهل بحال المحذوف لأنه يحتمل أن يكون صحابياً ويحتمل أن يكون تابعياً.

وعلى الثاني يحتمل أن يكون ضعيفاً ويحتمل أن يكون ثقة.

وعلى الثاني يحتمل أن يكون حمل عن صحابي ويحتمل أن يكون حمل عن تابعي آخر.

وعلى الثاني فيعود الاحتمال السابق ويتعدد..

إما بالتجويز العقلي فإلى ما لا نهاية وإما بالاستقراء فإلى ستة أو سبعة وهو أكثر ما وجِد من رواية بعض التابعين عن بعض][2].

٣- بقي الأمر المهم وهو هل يقوي المرسل بآخر مثله كما في المرسلين السابقين في هذه القصة؟.

---

(١) الكفاية في علم الرواية (٢٨٧).

(٢) ص ٣٧.

● **قلت:** مجيء المرسل من طريق آخر يرد عليه إشكال قوي ذكره الشيخ المحدّث ناصر الدين الألباني بقوله [يحتمل أن يكون كل من الواسطتين أو أكثر ضعيفاً، وعليه يحتمل أن يكون ضعفهم من النوع الأول الذي ينجبر بمثله الحديث على ما سبق نقله عن ابن الصلاح ويحتمل أن يكون من النوع الآخر الذي لا يقوى الحديث بكثرة طرقه.

مع ورود هذه الاحتمالات يسقط الاستدلال بالحديث المرسَل وإن تعددت طرقه][1] أهـ كلامه حفظه الله وهو فائدة نفيسة حسنة.

ــ قال الألباني ما سبق في معرض تضعيفه لقصة (الغرانيق)

---

(١) نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق (٢٣). وملخص القصة أن الرسول ﷺ عندما قرأ سورة النجم ألقى الشيطان– والعياذ بالله – على لسانه مدح أصنام المشركين بقوله: [تلك الغرانيق العُلى. وإن شفاعتهن لترتجى] وظن الناس أنها من جملة السورة. ومن توفيق الله أن هذه القصة (الغرانيق) مشابهة لقصة (حسان وصفية) من جهة أسانيدها. فقد جاءت بأسانيد مرسلة. ضعفها الشيخ ناصر حفظه الله. ولذلك استفدت كثيراً مما جاء في هذا المبحث منه وفقه الله.

المشهورة في التفسير ثم عقَّب بقوله: [وبالجملة فالمانع من الاستدلال بالحديث المرسل الذي تعدد مرسلوه أحد الاحتمالين.

الأول: أن يكون مصدر المرسلين واحداً.

الثاني: أن يكونوا جميعاً ولكنهم جميعاً ضعفاء ضعفاً شديداً][1] ثم قال: [مع هذه الاحتمالات لا يمكن أن تطمئن النفس لقبول حديثهم هذا لا سيما في مثل هذا الحدث العظيم][2].

قال أبو مصعب: ومثل هذا الحدث العظيم الذي ذكره الشيخ ما نحن فيه من لمزٍ لصحابي جليل واستهزا وسخرية به.

ـــ وأيضاً يضاف إلى ما سبق.

الاضطراب الحاصل في تينك الروايتين من جهة المتن حيث لا يمكن مع ما سبق ترجيح إحداهما على الأخرى.

ـــ ويضاف أيضاً ما يأتي من أمور تصادم هذه القصة وتبطلها. وتُبْقِى على ما ثبت في الصحيحين من أن النساء

---

(١) المصدر السابق (٢٤).

(٢) المصدر السابق (٢٤).

والصبيان رُفعوا إلى الآطام في غزوة الخندق دون تعرض لهذه القصة المفتعلة.

ـــ وأيضاً فهذه الرواية الثابتة في الصحيحين قد قدّر الله بفضله مجيئها من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن ابن الزبير دون تعرض للقصة المفتعلة. وهذا ما يقضي قضاءً تاماً على مُرْسَل هشام بن عروة عن أبيه الذي ذُكِرت فيه قصة حسان. لأن رواية الصحيحين من نفس الطريق مقدَّمة على غيرها لا سيما وقد جاءت مرسلة.

ولو كان عند عروة خبر من هذه القصة لأخرجه صاحبا الصحيح وغيرهما ممن اكتفوا بالرواية الصحيحة عن عروة.

ـــ وبعد ما سبق- أخي القارىء- هل يحق لأحد أن يقول أن هذه القصة من قبيل الحسن لغيره؟.

لا والله.

ولله الحمد.

* * *

أمورٌ تعارِضُ القِصّة

ـ تَبقَّى- أخي القاريء- أيضاً عدة أمور تقطع وتين هذه الحكاية المفتعلة على حسان وتزيدها وهناً على وهن.

وهي:

١- هذه القصة تعارض وصف الله تعالى للصحابة رضوان الله عليهم بالشجاعة والشدة قال تعالى: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ [الفتح ٢٩] وقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة**﴾ [التوبة ١٢٣] قال ابن كثير عند الآية الأولى: [هذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار رحيماً براً بالأخيار. غضوباً عبوساً في وجه الكافر. ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن][1].

فالجبن ليس من صفاتهم رضي الله عنهم لا سيما وقد قال ابن القيم في تعريفه: [الجبن من سوء الظن ووسوسة النفس بالسوء وهو ينشأ من الرئة فإذا ساء الظن ووسوست النفس بالسوء انتفخت الرئة فزاحمت القلب في في مكانه وضيّقت عليه حتى أزعجته عن مستقره فأصابه

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢١٨).

الزلازل والاضطراب][1].

فهل يليق أن ننسب سوء الظن إلى حسان رضي الله عنه؟

ولا يرد على هذا ما ذُكِر من بعض الحوادث التي وقعت في غزوات الرسول ﷺ من تراجعٍ لبعض الصحابة عن قلب المعركة كما في قوله تعالى: ﴿**إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان**﴾ [آل عمران ١٥٥] وما شابه ذلك.

لأن حديثي عن الجبن لا عن التولي عن المعركة لظرف ما.

ففرق بين رجل يوصف بأنه جبان قد تأصلت هذه الصفة في نفسه بحيث لا يشهد المعركة ابتداءً ولا يحضرها خوفاً من القتل ويبيت مع النساء والصبيان وآخر يحضرها ويخوض غمارها لكن تلجئه ظروفٌ قاهرة وهو تحت صليل السيوف وانكشاف الأصحاب إلى عدم التفكير الهادىء. فيلجأ دون شعور منه إلى التحرّف أو التولي. فشتان في ما بينهما لمن تأمل[2].

---

(١) الروح (٢٣٦).

(٢) **فائدة:** أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٢/٢٣٥) قال حدثنا =

٢- صفة الجبن ذكرها الله وصفاً للمنافقين وأصحاب القلوب المريضة دون الصحابة الأخيار.

قال تعالى: ﴿**فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت**﴾ [محمد ٢٠].

قال ابن كثير: [أي من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء][(1)].

= وكيع حدثنا همام عن أبي عمران الجوني قال: قال رسول الله ﷺ: «**للجبان أجران**».

● **قلت**: وهذا إسناد مرسل. لا يمكن قبوله في هذا الأمر. ولهذا عقّب الأخ سليم الهلالي عليه بقوله: [في نفسي من استساغة هذا اللفظ تردد كبير لأنه ليس عليه جمال الكلام النبوي ولا في معناه همة الرجال الدعاة الذين مدحهم الله في كتابه وأثنى عليهم رسوله في سننه الصحيحة. ولكن فيه خور الجبناء الذين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف. وإذا حمي الوطيس تسللوا لواذا... فلا نامت أعين الجبناء]. اهـ من تعليقه على رسالة (مطلع البدرين) للسيوطي (٣٣).

● **قلت**: ويناقضه ما سيأتي من وصف المنافقين بالجبن وتعوذه ﷺ منه.

(١) تفسير ابن كثير (١٩٢/٤).

٣- أن النبي ﷺ كان يُعَلِّم أصحابه أن يتعوذوا من الجبن في أدبار الصلوات[1] فهذا الذكر المتكرر خليق بأن يُبَغِّض لهم أن يظهروا بهذه الصفة المستَعَاذ منها.

فكيف يفعل حسان رضي الله عنه هذه الأفعال الدالة على جبنه عياناً أمام النساء والصبيان؟.

فهلَّا أخفى ذلك عنهم وكتمه في صدره وتعذر بعذر لا يؤاخذ عليه.

٤- لم يرد في حديث أو أثر واحد أن الرسول ﷺ أو أحداً من الصحابة قد لام حسان بن ثابت على هذا الخلق الدنيء أو حذره منه وشجعه على خوض المعارك أسوة بغيره من الصحابة لا سيما والرسول ﷺ يتفقد أصحابه ويعلم دخائلهم فهو القائل لأبي ذر: «**يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً. وإني أحب لك ما أحب لنفسي. لا تأمَّرن على اثنين ولا تولين مال يتيم**»[2].

٥- عندما وقعت قصة الإفك المشهورة وكان حسان بن

---

(١) صحيح البخاري (الفتح ٦/٤٣).

(٢) صحيح مسلم (حديث ١٨٢٦).

ثابت من الخائضين فيه عن تعجل ثم تاب وتراجع عن قوله رضي الله عنه. لم يستغل ذلك الموقف أحد من الصحابة أو غيرهم ويلمزه بهذه الصفة القبيحة ويعيره بها انتقاماً للسيدة عائشة رضي الله عنها لا سيما وهي زوجة الرسول ﷺ وابنة الصديق وصاحبة الفضائل المتعددة فكِفَّتُها لا شك راجحة على كفة حسان عند المفاضلة.

وإنما اكتفى البعض بتأنيبه على ذلك الخوض المتعجل ودافعت عنه عائشة رضي الله عنها كما سيأتي و لم ترض هذا اللوم منهم.

٦- حسان بن ثابت شاعر الإسلام وشاعر الجاهلية من قبل. أطلق لسانه مهاجياً جمعاً كثيراً.

والشعراء كما يُعلم يتهاجون بأدنى الأسباب التي لا تروق لهم.

فهم يهجون الخَلق والخُلق والنسب والأصل والفرع والحرفه جميعاً.

لا يدعون باباً ضعيفاً في المهجو إلا وأتوا منه فكيف إذا كان الهاجي قد اقتحم ديارهم بلسانه وكشف عوارهم كحسان رضي الله عنه.

فكيف سيتغاضون عن هذه الصفة المستهجنة المستقبحة من قبائل العرب وآحادهم أعني (صفة الجبن) والتي امتلأت أشعارهم بذمها وذم صاحبها. وتفاخروا بنقيضها وهي صفة الشجاعة.

فهل يُعقَل أن يَدعوا حساناً ينعم بعيش دون أن يكدروا عليه صفو عيشه بتذكيره بهذه الصفة التي يحملها بين جنبيه.

وهذه أشعاره وأشعارهم مبسوطة في كتب المغازي والسير كما قال العلماء لم يتعرض فيها أحد منهم لهذه الصفة.

ولا يقال أن ذلك عَلَم من أعلام نبوته ﷺ كما قال بعض العلماء فإن هذا ظن منهم.

والله عز وجل عندما يصرف السوء عن وليه يصرفه جميعاً لا أن يصرفهم عن تعييره بالجبن ويدعهم يُعَيِّرونه بأشياء أخرى تظهر لمن قرأ أشعارهم.

ثم يُقال لماذا لا يعيروه؟ ويكون هذا من الأذى الذي يكتب له به الأجر كما صنعوا بغيره.

٧- هذه القصة تعارض ما قاله ابن عباس في صفة حسان ابن ثابت وأنه دافع عن رسول الله ﷺ بلسانه ويده.

حيث أخرج لوين في جزئه قال: [حدثنا حُدَيج بن

معاوية عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير قال قيل لابن عباس: قدم حسان اللعين!.

قال فقال ابن عباس ما هو بلعين قد جاهد مع رسول الله ﷺ بنفسه ولسانه][1].

ـ ولهذا عقب الذهبي بعد هذا الأثر بقوله: [قلت: هذا دال على أنه غزا][2].

ـ وأيضاً فقد اعتمد على هذا الأثر ابن حبان في كتابه مشاهير علماء الأمصار حيث قال في ترجمة حسان [كان يذب عن المصطفى ﷺ بيديه وسيفه ويعينه بلسانه][3].

ـ والعجب من صاحب الأغاني (المتشيّع) ذكره هذا الأثر في كتابه. ثم اتبعه بقصته المضحكة..!.

٨- هذه القصة تعارض ما ورد في ديوان حسان من أشعار لا تحصى كثرة.

ولهذا سآخذك أخي القاريء في جولة سريعة على ربوع الديوان فنلتقط منه ما يمس هذه القصة.

---

(١) تهذيب الكمال للمزي (٦/٢١)- تهذيب التهذيب (٢/٢٤٨)- الأغاني (٤/١٥٠)- تهذيب ابن عساكر (٤/١٣١).

(٢) السير (٢/٥١٨).

(٣) ص ١٣.

● **جولة في ديوان حسان:**

ـ للديوان طبعات متعددة. وقد اخترت أفضلها وهما:

١- طبعة الشيخ عبدالرحمن البرقوقي رحمه الله التي قال عنها الدكتور وليد عرفات بأنها [أصح الطبعات وأوفاها شروحاً](١).

٢- طبعة الدكتور وليد عرفات نفسه وهي أفضل الطبعات لعنايته بتخريج الآبيات تخريجاً وافياً واهتمامه بتبيين ما صح وما لم يصح منها إضافةً إلى الفهارس المتكاملة في آخرها.

لذلك قال الدكتور بشار عواد معروف عن ديوان حسان: [وخير من درسه من المعاصرين الأستاذ الدكتور وليد عرفات الفلسطيني الأصل نزيل المملكة المتحدة وحقق ديوانه تحقيقاً جيداً أيضاً](٢).

---

(١) شرح ديوان حسان للدكتور وليد عرفات (٢٨/١).

(٢) تهذيب الكمال (٢٥/٦) وأيضاً من مميزات هذه الطبعة أن الدكتور وليد دافع فيها عن حسان. واتهام خصومه له بالجبن وأن السبب في ذلك هو العداوات لأنه شاعر. وقال عن روايات القصة بأنها [مضحكة ولا تقبل التصديق] (١٥) بخلاف الشيخ البرقوقي رحمه الله حيث أكد جبن حسان وأن السبب هو أنه شاعر..! =

ـ وسأعتمد بإذن الله على طبعة (البرقوقي) مستعيناً في بعض الأحيان بطبعة الدكتور وليد.

ـ وإليك أخي القارىء توزيعاً لقصائد الديوان ذكره الدكتور وليد في مقدمته (٣١) يبين للقارىء أنواع الأشعار التي ألقاها حسان.

فخـــر	٣٤
غزوات وحروب	٥٠
مديـــح	٢٢
هجـــاء	٩٢
رثـــاء	٨
ذكريـــات	٨
مواضيع مختلفة	٤

ـ فأنت ترى أن شعر الهجاء عند حسان قد فاق غيره (٩٢ قصيدة) وهذا مما يثبت ما قد قررته سابقاً من أن حسان قد خاض في أعراض أعدائه ولم يلق لهم بالاً فلو

= ونسي رحمه الله (عنتره. وامرىء القيس. وعمران بن حطان. وغيرهم) انظر شرحه (٢١).

كان موسوماً عندهم بالجبن لما استطاع أن يتجرأ على هذا الإقدام والثقة بالنفس.

وهذا يلاحظه المرء في نفسه ومن حوله بأن أحداً لا يستطيع أن يذكر عيب أحد وهو متصف بأكبر منه.

بل يظل يداري الجميع لكي لا يكشف أحد ستره..!.

ـ ثم يلي الهجاء في شعر حسان شعر الغزوات والحروب (٥٠ قصيدة) ثم شعر الفخر (٣٤).

وهو مما يناقض هذه الصفة بشدة.

فمن يجبُن عن عدوه كيف يُظن به أن يغزو أو يصف الغزو والحرب وهو لم يره أو يذق طعمه[1].

ولكن حسان لا يكتفي بوصف الغزوات والحروب بل يفتخر بذلك كما سيأتي.

---

(١) لا يرد على هذا قول بشار المشهور:

كأننا والنقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وبشار أعمى.

لأن هذا بيت واحد قاله تقليداً لوصف غيره بخلاف شعر حسان المملوء بذلك فضلاً عن أنه يتحدث عن شجاعته كما سيأتي.

ـ وبعد هذه المقدمة سأذكر فيما يلي الأشعار التي تناسب موضوعنا هذا. وقد قسمتها إلى خمسة أقسام مختلفة مرتبة بالأرقام.

١ـ أشعار يصف فيها معارك وغزوات المسلمين. من يقرأها يشعر بمشاركة حسان لهم في تلك المعارك والغزوات وإليك الأمثلة:

ـ قال في غزوة بدر يخاطب المشركين (١٣٦):

ولقد زعمتم بأن تحموا ذماركم
وماء بدر زعمتم غير مورود

وقد وردنا ولم نسمع لقولكم
حتى شربنا رواء غير تصريد[1]

ـ وقال فيها أيضاً (١٩٦):

لقد علمت قريش يوم بدر
غداة الأسر والقتل الشديد

بأنا حين تشتجر العوالي
حماة الروع يوم أبي الوليد

(١) التصريد: شرب دون الري.

ـــ وقال فيها أيضاً (٢٤٣):

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة
إبارتنا الكفار في ساعة العسر
قتلنا سراة القوم عند رحالهم
فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر

ـــ ويقول فيها أيضاً (٧٣):

فغادرنا أبا جهل صريعاً وعتبة قد تركنا بالجبوب[1]
....

ـــ وقال في أحد (٨١):

أقمنا لكم طعناً مبيراً منكّلاً
وحُزناكم بالضرب من كل جانب

ـــ وقال فيها أيضاً يرد على ابن الزبعري قوله المشهور:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسَل

فقال حسان (٣٥٨):

ولقد نلتم ونلنا منكمُ
وكذاك الحرب أحياناً دول

---

(١) الجبوب: الأرض الغليظة.

إذ شـــددنا شـــدة صـــادقة

فأجاناكم إلى سـفح الجـبل

نضـع الخطـي في أكتافكـم

حيـث نهـوى عـللاً بعد نهـل

....

....

ـ وقال في يوم بني قريضة (٢٧٩):

تركناهم وما ظفروا بشيء

دماؤهـم عليهـم كالعبـير

٢- أشعار يفخر فيها بقومه وشجاعتهم في الجاهلية والإسلام. وإنهم أحاطوا برسول الله ﷺ ودافعوا عنه وهو في كل ذلك من جملتهم (أي حسان).

ـ قال (٢٦٢)

ولقـد يعلـم من حاربنـا

أننـا ننفـع قـدماً ونضـر

صُبُرٌ للمـوت إن حـل بنـا

صادقـوا البأس عطاريف فخر

ـ وقال (٣٠٢):

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا
على كل باغ من مَعَدٍّ وراغم
منعناه لما حل بين بيوتنا
بأسيافنا من كل عاد وظالم

ـ وقال (٣٧١):

نصرنا وآوينا النبي وصدّقت
أوائلنا بالحق أول قائل
وكنا متى يغزو النبي قبيلة
نصل حافتيه بالقنا والقنابل[١]

ـ وقال (٤٣١):

فقمنا بأسيافنا دونه
نجالد عنه بغاة الأمم
لكل صقيل له ميعة
رقيق الذباب غموس خَذِم[٢]

ـ وقال (٤٥٢):

---

(١) القنابل: جمع قَنبلة وهي الطائفة من الخيل.
(٢) الخذم: القاطع.

ـ وقال (٤٥٢):

ونحن إذا ما الحرب حُل صرارها
وجادت على الحُلَّاب بالموت والدم

نكون زمام القائدين إلى الوغى
إذا الفَشِل الرعديد لم يتقدم

● قلت: وفي البيت الأخير سخرية بالجبناء الذين لا يتقدمون إلى الوغى...!

ـ وقال يفتخر بالخزرج (٤٧٦):

متى ترانا الأوس في بيضنا
نهـز القنا تخـبُ نيرانهـــا

ـ وقال(٤٤٥):

في كل معترك تُطِير سيوفُنا
فيه الجماجم عن فراخ الهام

ـ وقال (٤٨٧):

نحارب من عادى من الناس كلهم
جميعاً وإن كان الحبيب المصافيا

ونعلم أن الله لا رب غـيره
وأن كتاب الله أصبـح هاديـاً

٣- أشعار يهجو فيها غيره من قبائل وأفراد.

وهي كما علمتَ كثيرة. لذا سأكتفي بأشدها وقعاً عليهم لتعلم شدة بأسه رضي الله عنه وأنهم برغم هذا الهجاء منه لهم لم يجدوا فيه منقصة يعيبونه بها.

وقد ألمح لذلك بقوله:

قد رامني الشعراء فانقلبوا
منـي بأفوق ساقط النصـل

أي أنهم كالسهم المنكسر.

ـ قال يهجو أبا جهل (٢٠٦):

لقد لعن الرحمن جمعاً يقودهم
دَعيٌّ بني شجع لحرب محمد
مشوم لعين كان قدما مبَغضاً
يُبين فيه اللؤم من كان يهتدي

ـ وقال فيه أيضاً (٤٠٠):

سمّـاه معشـره أبا حكـم
والله سمـاه أبا جهـل

ـ وقال يهجو أبا سفيان (٣٥١):

فأبلغ أبا سفيان عني رسالة
فإنك من شر الرجال الصعالك

— وقال يهجو بني عابد بن مخزوم (١٩٨):

فأشـهد أن أمـك ملبـغايا[1]
وأن أبـاك من شـر العـباد
فلـن أنفـك أهجـو عابديا
طوال الدهر ما نادى المنادي

— وقال يهجو الحارث بن كعب (٢٦٩):

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم
جسم البغال وأحلام العصافير
ألا طعان ألا فرسان عـادية
إلاّ تجشـؤكم حـول التنانـير

أي أنكم لستم بأهل شجاعة وفروسية بل شجاعتكم أن تملأؤ بطونكم من التنور...!.

فهل يقول لهم هذا جبان..؟.

— وانظر في هجائه الصفحات (١٠٠-١٦٠-٢٠٧-٢٠٨-٢١١-٢١٢-٢١٥-٢٥١-٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨-٢٨٥-٣٤٧-٣٩٣-٣٩٦-٣٩٧-٣٩٨-٤٠٣-٤١٣-

---

(١) ملبغايا: أي من البغايا. كما تقول بلحرث أي بني الحارث.

٤٤١-٤٥٩-٤٦٠-٤٥٧-٤٦١-٤٦٢-٤٦٤-٤٦٥-
٤٦٦-٤٧٦-٤٧٧-٤٨٠-٤٨٥-٤٨٦).

ـ فهل يعقل بعد هذا الهجاء أن لا يردَّ عليه واحدٌ منهم ويعيره بهذه الصفة التي أُتهم بها ظلماً؟.

وإنما كانت ردودهم تعييراً له بأشياء لا تمس شخصه وإليك أمثلة منها:

قال أمية بن خلف يهجوه (٢٩٧):

ألا من مبلغ حسان عني
مغلغلة[1] تدب إلى عكاظ
أليس أبوك فينا كان قَينا
لدى القينات فَسْلاً في الحفاظ
يمانياً يظل يشد كيراً
وينفخ دائباً لهب الشواظ

أي أن أباك كان حداداً..!.

وماذا في ذلك؟.

ـ قال حسان يعير الحارث بن هشام عندما فرّ يوم بدر (٤١٩):

(١) مغلغلة: أي رسالة.

إن كنت كاذبة الذي حدثتني
فنجوت منجي الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم
ونجا برأس طِمِرّة[1] ولجام

فماذا كان جواب الحارث له؟.

لنسمع.

الله يعلم ما تركت قتالهم
حتى علوا فرسي بأشقر مزبد
وعلمت أني إن أقاتِل واحداً
أُقتل ولا يضرر عدوي مشهدي
فصددت عنهم والأحبه فيهم
طمعاً لهم بعقاب يوم مرصَد

فحسان عيّره بالهرب من المعركة فاعتذر بالأبيات السابقة.

ولو كان عنده شيء من جبن حسان لقال له: كيف تجرؤ على تعييري بذلك وأنت تحتمي بظهور النساء ولا

(١) الطمرة: الفرس الشديد الجري.

تشهد الوقعة.

والهرب من المعركة دون الجبن بكثير.

ولكنها كما قلت لكم حكاية مفتعلة. ظلمت حسان.

٤- شعر يفتخر فيه بشجاعته. نعم بشجاعته..!

ــ قال (١٦٩):

ويعلم أكفائي من الناس أنني
أنا الفارس الحامي الذمار المنجد
ولقد غدوت أمام القوم منتطقاً
بصارم مثل لون الملح قطّاع
تحفز عني نجاد السيف سابغة
فضفاضه مثل لون النهي بالقاع

● قلت: وقد مر معنا هذا البيت. وقال فيه بعضهم إنه عند ما أنشده ضحك الرسول ﷺ لصفة نفسه بالشجاعة مع جبنه..!.

ومستندهم في ذلك رواية منقطعة أخرجها صاحب الأغاني (٤/١٧٠) حيث قال في سنده: [قال الزبير (أي ابن بكار): وحدثني علي بن صالح (أي المدني) عن جدي (أي عبدالله بن مصعب) أنه سمع أن حسان...] وهذا سند

منقطع بين عبدالله وبين الرسول ﷺ. على ما في (علي بن صالح) من جهالة كما سبق.

ـــ قال (٤٠٩):

لقد علمت بنو النجار أني
أذود عن العشيرة بالحسام

٥- أخيراً بيتان من الشعر هما فصل في عدم مشاركته لبعض الغزوات مع المسلمين. يؤكدان أن السبب الحقيقي كما قلنا سابقاً هو كبر سنه وضعف جسده عن مقارعة الأعداء ولذلك عُذر من أحبابه وأعدائه على السواء.

ـــ قال (٤٣٢ من طبعة الدكتور وليد):

أضرَّ بجسمي مرُّ الدهور
وخان قِراع يدي الأكحل
وقد كنتُ أشهد عين الحروب
ويحمَرُّ في كفي المنصل

فهذان البيتان يعتبران كملخص لهذه الرسالة.

يحكيان أنه رضي الله عنه كان يشهد الحروب عند ما كان فتياً حتى إذا أسن ولان عظمه أصبح يراقب المعارك

بعيداً عن ساحاتها.

ولكن بقي يتغنى ببطولاته السابقة ويصفها.

فرضي الله عنه بذبه عن رسول الله بسيفه ولسانه.

* * *

فضـــل حســـان

— ولتعلم أخي القارىء فضل حسان بن ثابت رضي الله عنه وأنه ليس دون الصحابة الآخرين. كما يظن الجهلة.

أذكر الآن نسبه وشيئاً مما ورد في فضله رضي الله عنه.

أ — نسبه:

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ، روى عنه أحاديث، قال ابن سعد عاش في الجاهلية ستين وفي الإسلام ستين ومات وهو ابن عشرين ومائة[1].

ب — فضائله:

١ — قال النبي ﷺ لحسان: «**أهجهم** — أو هاجهم — **وجبريل معك**» أخرجه البخاري (٤١٢٣) ومسلم (٢٤٨٦).

---

(١) باختصار من الأصابة (٢/٢٣٧)، وبالقول بأن الرسول ﷺ قدم المدينة وعمر حسان ٦٠ سنة يكون قد شهد الخندق وعمره (٦٤ أو ٦٥) سنة. فإن ثبت — ولا أظنه يثبت — أنه لم يشارك في هذه الغزوة وما تلاها فيكون السبب هو كبر سنه رضي الله عنه. وقد شهد لذلك في شعره الذي مر معنا.

٢- مر عمر في المسجد وحسان ينشد.

فقال: كنتُ أنشد فيه وفيه من هو خير منك.

ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أجب عني، اللهم أيده بروح القدس**».

قال: نعم.

أخرجه البخاري (٣٢١٢) ومسلم (٢٤٩٠).

٣- قال عروة: ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت: لا تسبه فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ[1].

أخرجه البخاري (٤١٤٥) ومسلم (٢٤٨٧).

ـ وهذا قليل من كثير في فضله رضي الله عنه.

* * *

---

(١) وعروة إنما أراد ذلك دفاعاً عن عائشة رضي الله عنها في قضية الإفك.

حُكم

سب الصحابة

أتساءل أنا... ... وتتساءل أنت.

ما الأمر الذي يترتب على وصفنا لحسان بن ثابت رضي الله عنه بالجبن؟.

وهل الوصف بالجبن لأحدٍ من الصحابة يُعتبر سبّاً؟.

هذا ما جاء بخاطري قبل أن أضع القلم مؤذناً بختام هذه الرسالة.

مما دعاني إلى مراجعة كلام أهل العلم حول هذا الأمر.

ليتقرر بعدها:

أن من وصَم أحداً من الصحابة الأطهار كحسان رضي الله عنه بالجبن بعد أن عَلم بطلان هذه القصة وتهافتها. فهو يعتبر ساباً له.

يترتب عليه ما يترتب على السابّ.

وليطمئن قلبك إلى هذه النتيجة.

فإليك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول) حول هذا الموضوع مُلْحِقاً به كلام العلاّمة محمد بن صالح العثيمين في كتابه (شرح لمعة الأعتقاد).

١- قال شيخ الإسلام [من سب أحداً من أصحاب رسول الله

ﷺ- من أهل بيته وغيرهم- فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب ضرباً نكالاً.

وتوقف عن قتله وكفره.

قال أبو طالب: سألت أحمد عمّن شتم أصحاب النبي ﷺ.

قال: القتل أجبُنُ عنه. ولكن أضربه ضرباً نكالاً.

وقال عبدالله: سألت أبي عمّن شتم أصحاب النبي ﷺ قال: أرى أن يضرب.

قلت: له حد.

فلم يقف على الحد إلا أنه قال يضرب. وقال ما أراه على الإسلام.......

وقال في الرسالة التي رواها أبو العباس أحمد بن يعقوب الإصطخري وغيره: ..... لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن أحد منهم بعيب ولا نقص. فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته. ليس له أن يعفو عنه. بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه. وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلّده في الحبس حتى يموت أو يراجع].

ثم قال شيخ الإسلام [سب أصحاب رسول الله ﷺ

حرام بالكتاب والسنة أما الأول فلأن الله سبحانه يقول: ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضا**﴾.

وأدنى أحوال الساب لهم أن يكون مغتاباً.

وقال تعالى: ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾ وهم صدور المؤمنين فإنهم هم المواجهون بالخطاب في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ حيث ذكرت.

ولم يكتسبوا ما يوجب أذاهم. لأن الله سبحانه رضي عنهم رضىً مطلقاً بقوله تعالى: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾ فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان. ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان......

فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح. فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له.

فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يُسْخط الرب لم يكن من أهل ذلك].

وقال أيضاً [وأما السنة ففي الصحيحين عن الأعمش

عن أبي صالح عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه**» ....

وذلك أنه ما منهم رجل إلا كان ينصر الله ورسوله ويذب عن رسول الله بنفسه وماله ويُعينه على إظهار دين الله وإعلاء كلمة الله وتبليغ رسالات الله وقت الحاجة.

وهو حينئذٍ لم يستقر أمره ولم تنتشر دعوته. ولم تطمئن قلوب أكثر الناس بدينه.

ومعلوم أن رجلاً لو عمل به بعض الناس نحو هذا ثم آذاه أحد لغضب له صاحبه وعدّ ذلك أذىً له].

إلى أن قال رحمه الله [فصل: في تفصيل القول فيهم.

أما من اقترن بسببه دعوى أن علياً إله. أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبرئيل في الرسالة فهذا لا شك في كفره بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره....

وأما من سبّهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم- مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك- فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير.

ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك. وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهله العلم.

وأما من لعن وقبح مطلقاً فهذا محل الخلاف فيهم. لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً منهم لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم.

فهذا لا ريب أيضاً في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم.

بل من لم يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين. فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق][1] اهـ كلامه رحمه الله.

٢- قال الشيخ ابن عثيمين:

سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم أو أن عامَّتهم فسقوا فهذا كفر لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم

---

(١) الصارم المسلول (٥٦٧-٥٨٧) بإختصار.

والترضي عنهم.

بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فسّاق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح ففي كفره قولان لأهل العلم.

وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم **كالجبن** والبخل فلا يكفر ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك][1].

* * *

(١) شرح لمعة الأعتقاد (١٠١-١٠٢).

خاتمة

* أخـيراً:

ـ أرجو من الله أن أكون قد وُفِّقتُ في هذه الرسالة الصغيرة للذب عن عرض هذا الصحابي الجليل الذي طالما ذبّ عن عرض رسول الله ﷺ.

وأن تكون هذه الرسالة لبنة جديدة تضاف إلى غيرها من اللبنات في مشروع (تنقية التراث والدفاع عن الصحابة) الذي يساهم فيه المخلصون من الباحثين.

وبالرغم من أن هذه الجهود الفردية لن يكون لها بالغ الأثر في تلك التصفية والتنقية ما لم يتصد لهذا المشروع لجان كاملة تشرف عليها إحدى الجامعات المهتمة بشؤن الإسلام. تقوم بعملها في تحقيق روايات السيرة والتاريخ الإسلامي.

ويشترط في أفراد هذه اللجنة أن يكونوا من أهل الحديث لأنهم المؤهلون للقيام بذلك العمل لصفتين يتميزان بهما:

١ ـ علمهم بتحقيق الروايات وفق قواعد مصطلح الحديث الدقيقة، دون تغليب للعقل والأهواء.

٢- توقيرهم للصحابة الأطهار وتأدبهم معهم، وعفة ألسنتهم مقارنة بالمتهورين من المعاصرين الذين يحركون الأحداث كيفما شاؤوا[1].

ـــ وأما غير هؤلاء فلا أظنه سيفلح في هذا المشروع ولو حلّى اسمه بكافة الألقاب.

واعلم أخي القاريء أن هذه الشبهة حول حسان رضي الله عنه ليست الأخيرة في جعبة خصومه.

بل بقي شبهة يثيرها أهل الأدب منهم.

وهي اتهامه بأن شعره قد ضعف مع دخوله الإسلام، مستندين على قولة الأصمعي المشهورة: [الشعر نكد يقوي في الشر ويسهل، فإذا دخل في الخير يضعف لأن هذا حسان كان من فحول الشعراء في الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره][2].

والرد على هذه الشبهة يحتاج إلى رسالة كاملة ولكن

(١) وقد قال نحواً من هذا السيد محب الدين الخطيب في تعليقه على [العواصم من القواصم] لابن العربي (ص ١٤٥).
(٢) أسُد الغابة (١/٤٨٣).

ألا يكفي هؤلاء هذه الأجوبة إلى أن يتيسر لأحدٍ من أدباء الإسلام المعاصرين الرد على هذه الشبهة:

١- الإنسان دائماً يميل إلى ما يوافق طبعه وسلوكه وإتجاهه فصاحب الحياة الملتزمة يعشق أقرانه السابقين ممن يحملون همومه ومشاعره.

فأهل الإسلام الصادقين يستبشرون بأشعار حسان وإخوانه من الصحابة ويتناقلونها. بخلاف أشعار أهل المجون والفسق.

ـ وهكذا أصحاب المجون يتناقلون الأشعار التي تميل إليهم، وهم أكثر من الصالحين شعراءً وجمهوراً، فلعل الاصمعي سمع ترديد مثل هذا الكلام من أناس غير صالحين لم يناسبهم شعر حسان للتباعد الفكري فيما بينهم فأطلق مقولته تلك. تعبيراً عنهم.

٢- قال أبو عبيدة مادحاً شعر حسان: [أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر حسان][١].

---

(١) أسد الغابة (١/٤٨٣).

٣- من تأمل ديوان حسان وجد أن أجمل الأشعار هي تلك التي يقولها في الإسلام لأنها تصدر من شغاف قلبه رضي الله عنه.

كمثل قوله:

عَدمـنا خيلنا إن لَـمْ تَروهَـا
تُثِـير النَّقْـعَ موعِدُهـا كَـدَاءُ

يُبَـارِيْن الأعنَّـه مُصْعِـدَات
عَلى أكتَافِها الأسَـلُ الظِّمَـاءُ

تَظَـلُّ جيـادنـا متمطِّـرات
تُلَطِّمهـن بالخُمُـر النسـاءُ

فإمَّـا تُعْرِضُـوا عنَّـا اعتمَـرنا
وكَانَ الفَتْحُ وانكَشَفَ الغطاءُ

وَإلَّا فَٱصْبِرُوا لِجِلَادِ يَـوْمٍ
يُعِزُّ ٱللهُ فِيـهِ مَـنْ يَشَاءُ

وَجِبْرِيـلُ رَسُولُ ٱللهِ فِينَـا
وَرُوحُ ٱلْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

وَقَالَ ٱللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْداً
يَقُولُ ٱلْحَقَّ إنْ نَفَعَ ٱلْبَلَاءُ

شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ
فَقُلْتُمْ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ ٱللّٰهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْداً
هُمُ ٱلْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا ٱللِّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ
سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحْكِمُ بِٱلْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا
وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ ٱلدِّمَاءُ
أَلَا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي
فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ
بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْداً
وَعَبْدَ ٱلدَّارِ سَادَتُهَا ٱلإِمَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّداً فَأَجَبْتُ عَنْهُ
وَعِنْدَ ٱللّٰهِ فِي ذَاكَ ٱلْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ
فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا ٱلْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكاً بَرًّا حَنِيفاً
أَمِينَ ٱللّٰهِ شِيمَتُهُ ٱلْوَفَاءُ

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ ٱللهِ مِنْكُمْ
وَيَمْدَحُــهُ وَيَــنْصُرُهُ سَوَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِـدَه وَعِـرْضِي
لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَـاءُ

فَإِمَّـا تَثْقَفَــنَّ بَنُــو لُــؤَيٍّ
جُذَيْمَـةَ إِنَّ قَتْلَهُــمُ شِفَــاءُ

أُولَئِكَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا عَلَيْنـا
فَفِـي أَظْفَارِنَـا مِنْهُـمْ دِمَـاءُ

وَحِلْفُ ٱلْحَرْثِ بْن أَبِي ضِرَارٍ
وَحِلْـفُ قُرَيْظَـةٍ مِنَّـا بَــرَاءُ

وسبحانك اللهم ربنا وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك

سليمان بن صالح
الرياض ص.ب: (٧٤٢١)
الرمز البريدي (١١٤٦٢)

□ المراجع □

١ – أسد الغابة– ابن الأثير– دار الفكر.

٢ – شرح ديوان حسان– عبدالرحمن البرقوقي– ط ١٩٧٤م.

٣ – لسان العرب– ابن منظور– دار المعارف.

٤ – تهذيب الكمال– المزي– تحقيق بشار عواد– ط الأولى– ١٤٠٥– مؤسسة الرسالة.

٥ – الإصابة– ابن حجر– ط الأولى– تحقيق طه الزيني.

٦ – صحيح البخاري– ط الثانية– ١٤٠٦– وزارة الأوقاف– مصر.

٧ – صحيح مسلم– ط عبدالباقي.

٨ – سير أعلام النبلاء– الذهبي– ط السابعة– دار الرسالة

٩ – الأغاني– الأصفهاني– ط ١٩٨٣– دار الثقافة.

١٠– تهذيب ابن عساكر– بدران– دار السيرة.

١١– تفسير ابن كثير– ط ٢– ١٤٠٧– دار المعرفة.

١٢– الروح– ابن القيم– دار الندوة.

١٣- نصب المجانيق- الألباني- المكتب الإسلامي- ط ٢- ١٤٠٩هـ.
١٤- مختصر استدراك الذهبي- الألباني- ابن الملقن- تحقيق سعد الحميد- دار العاصمة- ١٤١١هـ.
١٥- التقييد والإيضاح- العراقي- دار الفكر- ١٤٠١هـ.
١٦- الكفاية في علم الرواية- الخطيب البغدادي.
١٧- طبقات ابن سعد- دار صادر.
١٨- تتمة طبقات ابن سعد- تحقيق زياد منصور- مكتبة العلوم والحكم- ١٤٠٨هـ.
١٩- سيرة ابن هشام- ط البابي- ١٣٧٥ط
٢٠- المراسيل- أبو داود- تحقيق شعيب الأرناؤط.
٢١- النكت على ابن الصلاح- ابن حجر- تحقيق ربيع مدخلي.
٢٢- التاريخ الكبير- البخاري- مؤسسة الكتب الثقافية.
٢٣- التاريخ الصغير- البخاري- دار المعرفة- ط ١- ١٤٠٦- تحقيق محمود زايد.
٢٤- تعجيل المنفعة- ابن حجر- دار الكتاب العربي.
٢٥- الجرح والتعديل- ابن أبي حاتم- ط الأولى- ١٣٧٢هـ

٢٦- الثقات- ابن حبان- ط ٢ ١٤٠٢هـ.
٢٧- البداية والنهاية- ابن كثير- ط الثالثة ١٤٠٧هـ- دار الكتب العلمية.
٢٨- تاريخ بغداد- الخطيب- دار الفكر.
٢٩- ميزان الاعتدال- الذهبي- دار المعرفة- تحقيق البجاوي
٣٠- تهذيب التهذيب- ابن حجر- دار الكتاب الإسلامي.
٣١- تقريب التهذيب- ابن حجر- ط الأولى- دار الرشيد.
٣٢- مجمع الزوائد- الهيثمي- ط الأولى- ١٤٠٦هـ- دار الكتب.
٣٣- المجروحين- ابن حبان- ط ٢- ١٤٠٢هـ- تحقيق زايد
٣٤- الضعفاء الكبير- العقيلي- ط ١ الأولى- ١٤٠٤- تحقيق قلعجي.
٣٥- الضعفاء والمتروكين- ابن الجوري- ط ١ الأولى- ١٤٠٦هـ- دار الكتب.
٣٦- الضعفاء للدارقطني والنسائي والبخاري- جمع السيردان- ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٣٧- صيانة الإنسان- السهسواني- ط ٤- مكتبة ابن تيمية.

٣٨- التبين في أنساب القرشيين- ابن قدامة- ط ١٤٠٢- العراق.
٣٩- طبقات خليفة- ط الثانية- ١٤٠٢هـ- دار طيبة.
٤٠- المستدرك- الحاكم- دار المعرفة.
٤١- الاستيعاب- ابن عبدالبر- ط الأولى- ١٣٩٧- تحقيق طه الزيني.
٤٢- لسان الميزان- ابن حجر- ط الثانية- دار الكتاب الإسلامي.
٤٣- معجم الطبراني الكبير- تحقيق حمدي السلفي.
٤٤- تهذيب الأسماء- النووي- دار الكتب.
٤٥- الكاشف- الذهبي- ط الأولى- ١٤٠٣- دار الكتب
٤٦- وفيات الأعيان- ابن خلكان- دار صادر.
٤٧- تذكرة الحفاظ- الذهبي- دار الكتب.
٤٨- تاريخ مولد العلماء- الربعي.
٤٩- التعديل والتجريح- الباجي- تحقيق أبو لبابة حسين- ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٥٠- طبقات الحفاظ- السيوطي- ط الأولى- ١٤٠٣هـ- دار الكتب.

٥١- فتح الباري- ابن حجر- ط الأولى- ١٤٠٧هـ- دار الريان.
٥٢- جمعصرة النسب- الزبير بن بكار- تحقيق محمود شاكر- مكتبة خياط.
٥٣- تاريخ الدارمي- دار المأمون- ط ١٤٠٠هـ.
٥٤- نسب قريش- المصعب- دار المعارف- نشرة بروفنسال
٥٥- جهاد النبي- محمد زيتون- مكتب مصر.
٥٦- ندوات الأسرع محمد داعوق- ط ١٩٦١م.
٥٧- خاتم النبيين- سميح الزين- دار الكتاب- ط الثانية- ١٤٠٦هـ.
٥٨- خاتم النبيين- محمد أبو زهرة- ط ١- ١٩٧٣- دار الفكر.
٥٩- غزوة الأحزاب- محمد باشميل- ط الأولى- ١٩٦٥.
٦٠- خلاصة الأثر- أحمد عساف- دار إحياء العلوم- ط الخامسة- ١٤٠٦هـ.
٦١- حياة محمد- هيكل- ط الثانية عشرة- دار المعارف.
٦٢- أعلام النساء- كحاله- مؤسسة الرسالة.
٦٣- أيام العرب في الإسلام- البجاوي.

٦٤- أزمنة التاريخ الإسلامي- د. عبدالسلام الترمانيني- ط الأولى- ١٤٠٢هـ.
٦٥- العبقرية العسكرية في غزوات الرسول- محمد فرج- دار الفكر- ط الثالثة- ١٩٧٧.
٦٦- تفسير الخازن- المكتبة التجارية.
٦٧- تفسير البغوي- المكتبة التجارية.
٦٨- صفوة السيرة- الباقوري- مطبعة المدني.
٦٩- فقه السيرة- الغزالي- دار الكتب- ط الخامسة- ١٩٦٥م.
٧٠- سيرة النبي العربي- التاجي- مطبعة البابي- ط ١٣٩٨هـ.
٧١- السيرة العطره- عبدالعزيز خير الدين- دار النها- ط الأولى- ١٩٦٩م.
٧٢- السيرة الجلية- الحلبي مطبعة الأستقامة- ط ١٣٨٢هـ
٧٣- السيرة النبوية- الصالحي- ط ١٣٩٩هـ- وزارة الأوقاف- مصر.
٧٤- الرحيق المختوم- المباركفوري- ط ٢- ١٤٠٤هـ- مكتبة المعارف- المغرب.

٧٥- رفع الخفاء- الكردي- تحقيق السلفي- ط ١- ١٤٠٧هـ.
٧٦- الرياض المستطابة- العامريع ط الأولى ١٩٧٤- مكتبة المعارف.
٧٧- التحفة اللطيفة- السخاوي- ١٣٧٦هـ- مطبعة السنة
٧٨- وفاء الوفاء- السمهودي- توزيع دار الباز.
٧٩- شرح المواهب- الزرقاني- ط الأولى- ١٣٢٥هـ- المطبعة الأزهرية.
٨٠- الأكتفاء- الكلاعي- مكتبة الخانجي- ١٩٧٠م.
٨١- عيون التواريخ- الكتبي- تحقيق المقدسي- مكتبة نهضة مصر.
٨٢- معاهد التنصيص- العباس- عالم الكتب- تحقيق محي الدين.
٨٣- در السحابة- الشوكاني- ط الأولى- ١٤٠٤هـ.
٨٤- سمط النجوم العوالي- العصامي- ١٣٧٩هـ- المطبعة السلفية.
٨٥- نكت الهيمان- الصفدي- ١٩١١م- المطبعة الجمالية- مصر.

٨٦- الكاملع ابن الأثير- ط ٦- ١٤٠٦- دار الكتاب.
٨٧- تاريخ اليعقوبي- دار صادر- ١٩٦٠م.
٨٨- تلقيح فهوم أهل الأثر- ابن الجوزي- طبعة الهند.
٨٩ الروض الأنف- السهيلي- دار الكتب الحديثة- مصر
٩٠- تاريخ الطبري- ط الأولى- ١٤٠٧هـ- دار الكتب.
٩١- الدرر- ابن عبدالبر- دار الكتب- ١٤٠٤هـ.
٩٢- دلائل النبوة- البيهقي- تحقيق قلعجي- ط الأولى- ١٤٠٥هـ.
٩٣- تاريخ الإسلام- الذهبي.
٩٤- السيرة النبوية- ابن كثير- تحقيق عبدالواحدع ط ١٤٠٣هـ.
٩٥- المغازي- الواقدي- تحقيق د. جونس.
٩٦- جوامع السيرة- ابن حزم- مراجعة أحمد شاكر- دار المعارف.
٩٧- الأعلام- الزركلي- ط الثالثة.
٩٨- معرفة الثقات- العجلي- مكتبة الدار- ط الأولى- ١٤٠٥هـ.
٩٩- مشاهير علماء الأمصار- ابن حبان- ط ١٩٥٩- مصر

١٠٠- المواهب اللدنيه- القسطلاني.

١٠١- البحر الزخار- البزار- تحقيق محفوظ الرحمة- مكتبة العلوم والحكم- ط الأولى ١٤٠٩هـ.

١٠٢- مسند أبي يعلى- تحقيق حسين أسد- دار المأمون- ط الأولى- ١٤٠٦هـ.

١٠٣- الصارم المسلول- ابن تيمية- عالم الكتب- ط ١٤٠٢هـ.

١٠٤- شرح لمعة الأعتقاد- ابن عثيمين- مكتبة المعارف.

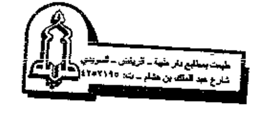
١٠٥- الرد على الأخنائي- ابن تيمية- الرئاسة العامة لإدارات البحوث- ١٤٠٤هـ.

١٠٦- مختصر التحفة الأثنى عشرية- الرئاسة العامة لإدرات البحوث.

* * *

□ الفهـرس □

* * *


شارع عبد الملك بن هشام ـ ت: ٤٢٥٢١٩٥